سيف الروح

سلسلة

تمتع بملكوت الله الآن

مُلك الله

كولن داي

سلسلة سيف الروح

مُلك الله

بقلم

كولن داي

جميع حقوق الطباعة و الملكية و الفنية و الأدبية محفوظة للمؤلف

English Original Title:
The Rule of God
Arabic edition @2017 by Colin Dye

Publisher:
Kensington Temple
KT Summit House
100 Hanger Lane
London W5 1EZ

swordofthespirit.co.uk

المحتويات

مقدمة ٥

١– الملكوت ٩

٢– دعوة الملكوت ٢٧

٣– توجُّهات الملكوت ٥١

٤– العالم والملكوت ٨١

٥– البر في الملكوت ٩٥

٦– الحياة الروحية في الملكوت ١٠٧

٧– الحياة المادية في الملكوت ١٢٣

٨– الدينونة في الملكوت ١٣٥

٩– واقع الملكوت ١٤٧

مقدمة

من المهم جدًا أن نفهم عنوان هذا الجزء من سلسلة «سيف الروح». العنوان هو «مُلك **الله**» أي «حكم **الله**» بالمفرد، وليس «أحكام **الله**» بالجمع، حيث هناك فرق جوهري بين الحالتين.

تُسمَّى الفترة بين استلام موسى للشريعة على جبل سيناء حتى مجيء المسيح بفترة «أحكام **الله**». في هذه الفترة، لم يستطع أبناء **الله** –بسبب الخطية والعصيان– معرفة **الله** بصورة شخصية حميمة. لذلك، كان الكهنة يقومون بدور الوسيط بين **الله** والشعب. كما كان الأنبياء ينقلون كلمة **الله** إلى الشعب، والقضاة والملوك يحكمون الشعب، وكانت الشريعة تسود على الكل.

كان على الأشخاص الذين يحبون **الله** ويرغبون في إرضائه أن يحفظوا أحكامه التي هي مجموع القواعد التي أعطاها لهم من خلال موسى، والمُسجَّلة في أسفار الخروج واللاويين والتثنية. يستطيع هؤلاء معرفة **الله** والتمتع بالقبول لديه فقط من خلال حفظ أحكامه.

لكن فترة «أحكام **الله**» انتهت بقدوم «ملكوت **الله**» في شخص السيد المسيح. يستطيع كل الناس اليوم أن يعرفوا **الله** بصورة شخصية حميمة، نتيجة لطاعة المسيح الكاملة وموته الكفاري. لقد قام رئيس الكهنة العظيم بدور الوسيط مرةً واحدةً وللأبد؛ كي نستطيع نحن الاقتراب من **الله** بأنفسنا. لقد جاء النبي العظيم ككلمة **الله** المتجسِّد؛ كي نعرف نحن **الله**، ونسمعه يتحدث إلى كل واحد منا. إن قاضي الأرض كلها وملك الملوك يحكم شعبه بالنعمة والرحمة، وهو بنفسه يسود على كل الناس الذين يخضعون لسلطانه.

سنرى أن العهد الجديد يوضِّح أن المسيح يحرِّرنا من «الناموس». ونحن الآن مدعوون للخضوع لملك **الله** المحب الرحيم، وليس لمجموعة من القواعد. باختصار، نحن نعيش في الروح القدس وبه، متبعين قيادته في حياتنا، لا قيادة مجموعة من القواعد الدينية والقوانين الأخلاقية.

يا له من أمر محزن أن يحاول بعض القادة المسيحيين إرجاع شعب **الله** إلى عهد الناموس، وتشجيع المؤمنين على العيش طبقًا لأحكام العهد القديم (أو البعض القليل منها)، والاستمرار في إدخال قواعد وتنظيمات بشرية إلى الكنيسة.

تحتوي الإصحاحات من ٥ إلى ٧ من بشارة متى – والتي يسميها معلمو الكتاب المقدس «الموعظة على الجبل» – على قلب تعاليم السيد المسيح عن الحياة في ملكوت **الله**. عندما نتأمل معًا في هذه الموعظة بالتفصيل، سنرى أن السيد المسيح يقدم أسلوب حياة فعال يعيشه الشخص في حضوره من خلال قوة الروح القدس. وسنكتشف معنى ممارسة الخضوع لحكم **الله** المحب باتِّباع الحياة التي خصصها يسوع لنا.

هذا الكتاب موجَّه خصيصًا للمؤمنين الذين لديهم الاستعداد أن يضعوا أفكارهم الشخصية عن ملكوت **الله** جانبًا، وأن يفسحوا المجال لدراسة كلمة **الله** واكتشاف المبادئ الكتابية في هذا الصدد. ولكي يحقق القارئ أكبر استفادة ممكنة من هذا الكتاب، عليه أن يقرأ جيدًا كل الشواهد الكتابية الواردة به. كما عليه –بعد أن ينتهي من دراسة كل جزء من أجزاء الكتاب– أن يفكر مليًا في معنى ما درسه بالنسبة لنفسه ولمن حوله، قبل أن ينتقل إلى دراسة جزء جديد. لتدع **الله**، عزيزي القارئ، يتحدث إليك بينما تدرس كلمته.

هناك بعض المواد التعليمية الإضافية التي يمكنك أن تستعين بها كي تسهِّل من دراستك لهذا الكتاب. هناك مثلاً كتيب دارسي سلسلة سيف الروح (Sword of the Spirit Student's Handbook) وكذلك، الموقع الإليكتروني (www.swordofthespirit.co.uk). ستجد في الكتيب مرشدًا تعليميًا تكميليًا يغطي كل فصل من فصول الكتاب. كما ستجد أسئلةً للمناقشة واختبارات قصيرة. يمكنك الحصول على المزيد من الاختبارات والأسئلة عندما تسجل بالاشتراك على موقع السلسلة. هناك أيضًا ويب تول (webtool) وهو عبارة عن نص الكتاب مضافًا إليه روابط لكل النصوص الكتابية الواردة به، بالإضافة إلى مواد تعليمية مرئية ومسموعة شاملة. تساعدك هذه المواد الإضافية على اختبار فهمك لما خرجت به من الكتاب وتعاونك على تطبيقه.

ويمكنك أن تستخدم الكتيب للدراسة في مجموعات صغيرة. كما يمكنك أن تختار في روح الصلاة بعض أجزاء الكتاب التي تنطبق أكثر من غيرها على مجموعتك. وهذا يعني أنك ستستخدم أحيانًا مادة الكتاب كله وستستخدم في أحيان أخرى بعض الأجزاء الصغيرة فقط، ولتكن منقادًا دائمًا بالحكمة والبصيرة الروحية. ويمكنك تصوير أي جزء من أجزاء الكتاب وتوزيعه على أفراد المجموعة التي تقودها.

وصلاتي –بينما تدرس هذا الكتاب– أن ترى ملكوت **الله** بصورة أوضح، وتتعمق في الدخول إليه، وأن تخضع لحكم **الله** وتنقاد به في كل مجال من مجالات حياتك. أصلِّي أن تعيش كشخص مُحرَّر من سلطة القواعد والأحكام، شخص يخضع لحكم وسلطان ملك الملوك.

كولن داي

الجزء الأول

الملكوت

ملكوت **الله** – أو ملكوت السماوات – هو الفكرة الأساسية في أحاديث يسوع. لقد علَّم يسوع عن ملكوت **الله** أكثر مما علَّم عن أي موضوع آخر. يقول متى عن الملكوت في بشارته الموجَّهة إلى اليهود إنه «ملكوت السماوات» بينما يحتفظ مرقس باستخدام تعبير «ملكوت **الله**».

والسبب في استخدام متى لتعبير «ملكوت السماوات» وليس «ملكوت **الله**» هو أنه لم يرد أن يجرح مشاعر قرائه اليهود الذين يتجنبون استخدام لفظ الجلالة «**الله**». لكن يشير كلا التعبيرين إلى نفس الحقيقة كما يتضح من مقارنة كل من (متى٥: ٣) و(لوقا٦: ٢٠).

ماهو الملكوت؟

الكلمة اليونانية «basileia» التي تعني «ملكوت» مشتقة من كلمة «basileus» التي تعني «ملكًا». تنطوي كلمة «Basileia» على الكثير من المعاني: «السلطان» و«السلطة الملكية» و«السيادة». وهي تشير إلى ممارسة الحكم وليس إلى الدولة أو الشعب الذي يحكمه الملك.

عندما نفكر في معنى كلمة «مملكة» اليوم، نميل إلى التركيز على الدولة أو الشعب. لكن كلمة «basileia» تعني «مُلك **الله**» وليس «مملكة **الله**». إنها تصف المُلك كفعل يمارسه **الله**، ولا تصف شعبًا ما أو مكانًا ما. إن الكلمة تحول تركيزنا عن ذواتنا نحو **الله**. وتأكيدًا

لهذا المعنى وتجنُّبًا للبس، اخترت للكتاب عنوان «مُلك **الله**» وليس «ملكوت **الله**».

هذا الاختلاف مهم جدًّا عندما نأخذ في الاعتبار نوع العلاقة التي لنا مع **الله** وكيف يأتي ملكوته على الأرض. عندما يحاول الناس تأسيس ملكوت **الله** على الأرض من خلال القواعد الدينية والقوانين والمؤسسات السياسية، فإنهم يبتعدون بذلك عن قصد **الله**. يقول يسوع في (لوقا١٧: ٢٠–٢١) إن ملكوت **الله** لا يأتي بمراقبة. ليس لملكوت **الله** علاقة بأي نظام قومي أو جغرافي أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي. لكن الملكوت هو الملك الروحي **لله** في قلوب شعبه.

يتضح استخدام تعبير «الملكوت» في العهد القديم كتعبير دال على ممارسة المُلك في نصوص مثل (مزمور٢٢: ٢٨، ١٠٣: ١٩، ١٤٥: ٨–١٣)، (دانيال٤: ٢٥). تصف هذه النصوص ملكوت **الله** بكلمات تؤكد على الطريقة الكريمة الرائعة التي يملك بها **الله**. كذلك يتضح مبدأ ممارسة المُلك في العهد الجديد في نصوص مثل (متى٦: ١٠) و(لوقا١١: ٢ و١٩: ١١–١٥). يرتبط إتيان ملكوت **الله** في هذه النصوص بتنفيذ مشيئته.

الخلفية اليهودية:

على الرغم من أن الكتب اليهودية المقدسة لا تذكر تعبير «ملكوت **الله**» صراحة، إلا أن الفكرة تتخلل العهد القديم الذي غالبًا ما يتحدث عن **الله** بصفته «ملك إسرائيل» (خروج١٥: ١٨)، (تثنية٣٣: ٥)، (١صموئيل١٢: ١٢)، (إشعياء٤٣: ١٥) و«ملك كل الشعوب» (إرميا٤٦: ١٨). كما يشير كل من (تثنية٤: ٣) و(١أخبار٢٩: ١١) و(عوبديا١: ٢١) إلى ملكوته أو مُلكه.

لا يتضح مبدأ ملك **الله** من هذه النصوص التي تحتوي على صفات ملكية واضحة فقط، لكنه مبدأ أساسيًا في كل العهد القديم. على سبيل المثال، يؤكد العهد الذي أخذه موسى على جبل سيناء على سلطان ومُلك **الله** على شعبه. **الله** سيد شعبه وهو يملك عليهم.

نفهم من العهد القديم أن ملكوت **الله** أو ملكه هو حاضر ومستقبلي. يتحدث العهد القديم عن **الله** كالملك الوحيد على كل البشر رجالاً ونساء. لكن في نصوص مثل (إشعياء٢٤: ٢٣) يتطلع النبي إلى وقت يكون فيه مُلك **الله** على شعبه واضحًا ومرئيًا للجميع.

كان اليهود أيام يسوع يترجون وينتظرون تدخُّلاً حاسمًا من **الله** كي يحررهم من أعدائهم ويعيد لهم أمجادهم. كانوا يؤمنون أن المسيا – داود آخر – سيأتي ويمهِّد الطريق لملكوت **الله** أو مُلكه البَيِّن عليهم.

كان بعض اليهود ينتظرون قائدًا آخر هو ملكًا أرضيًا أعظم من داود. وكان البعض الآخر يتطلع إلى ملكوت سماوي وإلى ظهور «ابن الإنسان» الذي يتحدث عنه (دانيال ٧). لم يكن لدى غالبية الشعب فكرة عمَّا سيكون عليه الملكوت، لكنهم ترجوا قدومه الوشيك وآمنوا به.

يقارن البعض بين مفهومَي العهدين القديم والجديد للملكوت. تستمر رؤية العهد القديم للملكوت في العهد الجديد. إلا أن العهد الجديد – وخاصة تعاليم يسوع – يعلن الملكوت بصورة أوضح. على سبيل المثال، نكتشف في العهد الجديد – كما سنرى لاحقًا – أن ملكوت **الله** يمتد ليشمل الكون كله، ولا يقتصر على شعب إسرائيل فقط. كما نفهم أن بدايته وثيقة الصلة بشخص يسوع وخدمته.

إعلان يوحنا:

يسجل لنا (متى٣: ٢) إعلان يوحنا المعمدان الأول أن ملكوت **الله** قد اقترب. من الصعب علينا أن ندرك كم كان هذا الإعلان مثيرًا في أيام يوحنا. كان لإعلان يوحنا معنى جليل وخاصةً، في ظل توقع اليهود أن إتيان ملكوت **الله** سيكون نقطة تحول في تاريخهم. وقد كانوا على حق. لكن الملكوت لم يأخذ الصورة التي توقعوها.

آمن قادة اليهود الدينيون أن إتيان ملكوت **الله** يعني أن **الله** لن يملك عليهم من بعيد. وقد كانوا على حق. لكنهم فشلوا في فهم حقيقة أن **الله** لن يستمر في ملكه من خلال الشريعة؛ حيث إن قدوم **الله** شخصيًا لتأسيس الملكوت يعني أن **الله** يملك شخصيًا من خلال الابن والروح القدس.

كان اليهود على حق أيضًا في اعتقادهم أن الملكوت سيقوض عدوهم. لكنهم للأسف أخطأوا في معرفة العدو الحقيقي. كما كانوا على حق في إيمانهم بأن الملكوت سيمتد ليشمل كل الأرض. لكن تصورهم للإتمام الفوري الجبري لهذا الأمر هو تصور خاطئ. لم يأتِ **الله** من خلال شخص المسيح كي يفرض مُلكه على كل البشر. لكنه أتى كي يملك على هؤلاء الذين يقبلون مُلكه.

نقرأ في (متى٣: ١–١٢) و(لوقا٣: ٧–٢٠) عن تعاليم يوحنا المعمدان عن الملكوت. علَّم يوحنا أن ملكوت **الله** أو مُلكه:

- يعني دينونة وتمحيص وتنقية كل البشر.
- سيأتي بتحديات أخلاقية لا يمكن تجاهلها.
- يرتبط بأعمال يسوع.
- يعني أن على الناس أن يتوبوا ويعتمدوا.

الملكوت الحاضر:

بدأ يسوع خدمته بأن أعلن في (مرقس١: ١٤–١٥) أن الزمان قد كُمل، وأن ملكوت **الله** قد اقترب. وقد عني هذا بالتأكيد أن حدثًا جليلاً كان على وشك أن يقع. كرر يسوع إعلان إتيان ملكوت **الله** في (متى١٢: ٢٨) و(لوقا١١: ٢٠) ودلل على ذلك بإخراج الشياطين. أوضح السلطان على الأرواح الشريرة أن ملكوت السماوات اخترق مُلك الشرير، وأن الملك يحكم الآن بصورة أكثر فعالية.

نقرأ في (لوقا١٠: ١–٢٠) أنه عندما أرسل يسوع الاثنين والسبعين للكرازة، أعلنوا اقتراب ملكوت **الله**. ونتيجةً لذلك، سقط الشيطان «مثل البرق من السماء». لقد دلت كل أعمال يسوع المعجزية أن الملكوت قد اقترب.

عندما شك يوحنا المعمدان أن يسوع هو الآتي الذي هيَّأ له الطريق، أرسل تلاميذه كي يأتوه بإجابة. يصف لنا (متى١١: ٢–٥) و(لوقا٧: ١٨–٢٣) الأمور التي أقنعت تلاميذ يوحنا أن يسوع هو المرشد إلى الملكوت.

لم يَعِد يسوع بمعجزات مستقبلية وبمغفرة يوم الدينونة فقط، لكنه وعد بحدوثهما في الوقت الحاضر من خلال شخصه. لقد أتى الملكوت مع شخص يسوع وفيه. إن يسوع –بوصفه المسيا الذي طال انتظاره– هو محور كل ما تعلنه البشائر عن الملكوت. كما أن الملكوت هو محور كل تعاليم يسوع.

- أعلنت السماء أن يسوع هو ابن **الله** الحبيب لحظة عماده من يوحنا (متى٣: ١٧).
- أعلنت السماء أن يسوع هو ابن **الله** الحبيب عند التجلي (متى١٧: ٥).
- يسوع ممتلئ من روح **الله** (متى٣: ١٦).
- يتمتع يسوع بكامل السلطة الإلهية (متى٢١: ٢٧).

- تحققت الكتب المقدسة وأُكملت بقدوم شخصه (لوقا٤: ٢١) و(متى٥: ١٧).
- أتى يسوع كي يعلن ملكوت أو مُلك **الله** (مرقس١: ٣٨).
- أتى كي يطلب ويخلِّص ما قد هلك (لوقا١٩: ١٠).
- أتى كي يخدم الآخرين ويبذل نفسه فديةً عن كثيرين (مرقس١٠: ٤٥).
- يتمثل سر الانتماء إلى ملكوت **الله** في الانتماء إلى شخصه (متى٧: ٢٣ و٢٥: ٤١).

عندما علَّم يسوع عن قدوم، وابتداء الملكوت، وعن كونه حقيقة واقعة بين الناس، علَّم أيضًا أن بعض العنف سيصاحب إتيان الملكوت كما نقرأ في (متى١١: ١١–١٢) و(لوقا٧: ٢٨ و١٦: ١٦).

لا يعني هذا أن تأسيس الملكوت جاء عن طريق العنف المادي، لكن يسوع كان يشير إلى عداوة العالم للملكوت. لقد عانى يوحنا وسُجن. لذلك، حذر يسوع من يقبلون ملكه أن يتوقعوا عداوة العالم لهم في الحاضر والمستقبل.

الملكوت المستقبلي:

كما علَّم يسوع أن الملكوت قد أتى، علَّم أيضًا أنه «ليس بعد». نقرأ في (متى٥: ١–١٠) على سبيل المثال، أن الكثير من فوائد الملكوت ستُجنى في المستقبل. على الرغم من أن «المطوَّبين» لهم الملكوت، إلا أن هناك شيئًا سيأتي في المستقبل – الراحة والميراث والرحمة وهكذا.

كما أن صلاة يسوع في (متى٦: ١٠) هي حاضرة ومستقبلة. لو أن الملكوت قد آتى كلية، لِمَا كانت هناك حاجة أن نصلِّي من أجل قدومه. يشير يسوع في (متى٧: ٢١–٢٢) إلى يوم دينونة مستقبلي عندما يتحدث عن دخول الملكوت. يرد نفس المعنى في (متى٨: ١١) و(لوقا١٣: ٢٨–٢٩).

عندما ندرس ونتأمل في «ملك **الله**»، علينا أن ننتبه دائمًا إلى حقيقة أن الملكوت هو «الآن» و«ليس بعد». يمكننا اختبار ملك **الله** الآن. لكننا نتطلع أيضًا إلى معرفة ملكوته في المستقبل. هناك العديد من أمور الملكوت التي لنا اليوم. وهناك أيضًا العديد من أمور الملكوت التي ننتظرها في المستقبل.

وهذا يعني أنه علينا أن نعمل كي نؤسس ملكوت **الله** الآن. لكن بينما نعمل، علينا أن ندرك أن الملكوت لن يتأسس كلية إلا في يوم محدَّد في المستقبل. يركز الكثير من المؤمنين إما على الحاضر كلية أو على المستقبل كلية. ينشغل الكثيرون منهم بخدمة **الله** على الأرض، لكنهم يفتقدون الرجاء والفرح الذي سيأتي بانتظار الملكوت الآتي. كما ينشغل الكثيرون «باليوم الأخير» لدرجة أنهم لا يعملون في تأسيس الملكوت حولهم على الأرض. إن الفهم الصحيح لحقيقة الملكوت يشمل الإيمان بالملكوت الحاضر والمستقبلي كما فعل السيد المسيح.

خصائص الملكوت:

إن كان لنا الفهم الصحيح للملكوت، فعلينا أن نضع في اعتبارنا خمسة مبادئ عنه:

يخص لله

إنه ملكوت **الله** وممارسة مستمرة للسلطة من قبل **الله**. **الله** هو المسؤول وهو وحده الذي يملك. والمُلك ليس ديمقراطيًّا. كما أنه ليس دعوة للأعمال الصالحة والممارسات الاجتماعية. **الله** وحده يعمل في كل التاريخ، وهو يطلب إنكار الذات الكلي من كل الرجال والنساء. نفهم هذه الحقيقة من (مزمور٢٢: ٢٨) الذي يقول إن الملك هو للرب وحده.

فعال وقوي

ما من شيء يتعلق بالله ويكون ضعيفًا وغير فعال. إن الملكوت ليس تجربة مؤقتة، إنه قدوم دائم للملك كلي القوة كي يملك على شعبه ويقهر أعداءَه. يصف يسوع في (لوقا١١: ٢٠–٢٢) الوجود الحاضر للملكوت بكلمات تعبر عن هزيمة القوي المسلح، حيث تقع هزيمة القوى الشيطانية في قلب الملكوت.

يأتي بآيات وعجائب

عندما كان يوحنا المعمدان في السجن، أرسل تلاميذه إلى يسوع كي يسألوه إن كان هو «الآتي» أو بعبارة أخرى إن كان هو المسيا المُنتَظَر. يبدو أن يوحنا شك في خدمة يسوع ربما لأنه كان يتوقع ملكوتًا مختلفًا. ملكوت يقضي على روما ويقود إسرائيل إلى النصر الكامل على أعدائه.

في إجابته على سؤال يوحنا، أخبر يسوع تلاميذ يوحنا أن يعودوا إليه ويخبروه أن العُمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يُطهَّرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون بالملكوت (متى١١: ٥).

كانت هذه هي الآيات التي أوضحت أن المسيا قد أتى ومعه ملكوت الله. كما أوضح يسوع فيما بعد أن الملكوت كان يتقدم بقوة، مشيرًا إلى أن مملكة إبليس تتراجع (متى١١: ١٢). والدليل على ذلك تدمير أعمال إبليس من خلال الآيات والعجائب والعظائم التي صنعها يسوع، والأشخاص الذين كانوا يستسلمون لمُلك الله.

يسوع هو مؤسِّسه

في (لوقا١: ٣٢–٣٣) تحدث الملائكة عن يسوع باعتباره الذي سيجلس على كرسي داود، والذي لن يكون لملكه نهاية. كما أوضح يوحنا المعمدان في

إعلانه، العلاقة بين يسوع وملكوت **الله**. تربط كل البشائر بين الملكوت وابن الإنسان، كما نرى –على سبيل المثال– في (متى١٦: ٢٨) و(مرقس٩: ١)

وهذا يعني أن يسوع المسيح، المسيا الممسوح، هو وكيل **الله**، وهو يتصرف نيابةً عن **الله** في تأسيس ملكوته.

للخلاص

أوضح قدوم الملكوت أن عمل **الله** الملكي يصل لكل الناس، في كل الأمم، في كل الأجيال كي يخلِّصهم ويباركهم. كان إخراج الشياطين دليلاً على قوة الملك، ودلت معجزات الشفاء على محبته ورحمته. لكن غفران الخطايا كان هو أعظم معجزة لإعلان الملكوت (لوقا٥: ٢٠–٢١).

سر الملكوت:

جاءت معظم تعاليم يسوع عن الملكوت من خلال الأمثال. نقرأ في (متى١٣: ١–٥٢) و(مرقس٤: ١٠–١٢) و(لوقا٨: ٩–١٠) كيف استخدم يسوع الأمثال ليعلن الأمور الخفية فقط لمن أرادوا حقًا أن يعرفوا المعنى الحقيقي للملكوت. ويدل استخدامه للأمثال على حقيقة أن الملكوت سيظل سرًّا لمن لا يطلبونه بصدق.

يشير يسوع بصفة خاصة إلى «سر» الملكوت. الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة «سر» هي «musterion» وهي تعني أن شيئًا ما كان مخفيًا فيما مضى وأُعلِن الآن. والإعلان الخاص الذي كشفه يسوع في الأمثال هو أن الملكوت سيأتي أولاً في صورة روحية قبل أن يُعلَن إعلانًا كاملاً ونهائيًا في نهاية الأزمنة.

وهذا يعني أن الأشخاص المُصرِّين على فهم الملكوت واستقبال الإعلان

من يسوع، هم فقط من سيدخلون الملكوت. والأشخاص الذين لديهم ذهن مفتوح سيفهمون أمثال يسوع عن الملكوت. تتناول الأمثال الكثير من الأفكار كما يتضح مما يلي:

نمو خاص

تشير أمثال كثيرة عن الملكوت إلى النمو. نقرأ مثلاً في (متى١٣) عن الزارع (الأعداد١–٢٣) والزوان (الأعداد٢٤–٣٠) وحبة الخردل (الأعداد٣١–٣٢).

هناك نوع واحد من بين أربعة أنواع للتربة يتميز بالإنتاج، ونتائجه مؤثرة للغاية. ربما يكون من الصعب أن نميز «البذار الجيدة» في الملكوت. لكنها ستنمو وتنمو حتى تصل إلى مرحلة حصاد **الله**. ربما تكون البداية صغيرة جدًا لكن نموًا عظيمًا سيتبع حتمًا.

معارضة قوية

الشوك في مثل الزارع والعدو في مثل الزوان يوضحان المعارضة التي يلاقيها الملكوت من كل اتجاه. هناك نمو لكنه دائمًا يُقاوَم.

طبيعة خفية

نرى في مَثَل الخميرة (متى١٣: ٣٣) النتائج العظيمة التي تترتب على الطرق الخفية غير الواضحة، وذلك على عكس أسلوب العالم في التفكير والفعل.

قيمة عظيمة

يوضح كل من مثل الكنز (متى١٣: ٤٤)، ومثل اللؤلؤة (متى١٣: ٤٥–٤٦) قيمة الملكوت العظيمة التي لا تُضاهَى. لكن هذه القيمة لا يقدِّرها ولا يسعى نحوها الجميع.

خليط محير

يوضح مثل الشبكة (متى١٣: ٤٧–٥٢) ومثل الزوان (متى١٣: ٢٤–٣٠) أن الأبرار والأشرار يختلطون معًا في هذا العالم حتى نهاية الأزمنة. ولا ينبغي أن تكون هناك أية محاولة لفصلهم قبل قدوم النهاية، لأن الملك فقط هو من سيحكم في هذا الأمر. هو وحده القادر على التفريق الصحيح بين الأبرار والأشرار، وحاشا أن يهلك معه أحد من الأبرار عن طريق الخطأ.

طبيعة عالمية

يدل مثل الكرمة في (متى٢١: ٣٣–٤٦) على أن الملكوت ليس لليهود فقط، بل لكل الناس من كل الأمم.

التوبة والطاعة

يرينا الابنان في (متى٢١: ٢٨–٣٢) الحاجة إلى التوبة والطاعة. يمكن لجباة الضرائب والزناة أن يدخلوا الملكوت قبل القادة الدينيين لو أتموا شروط الدخول ولم يتمها القادة.

تحذيرات قوية

إن مثلي العذارى (متى٢٥: ١–١٣) والعُرس (متى٢٢: ١–١٤) هما تحذير قوي بشأن إهمال دعوة الملكوت أو الاستخفاف بها. ولنلاحظ أن إطار التحذير مستقبلي، لكن تحديه هو تحدٍّ في الوقت الحاضر.

الملكوت في العهد الجديد:

قلنا فيما سبق إن الملكوت هو الفكرة الرئيسية في تعاليم السيد المسيح. وتَرِد أكثر التعاليم عن الملكوت في بشائر متى ومرقس ولوقا، وعلى الأخص متى. سنتناول في هذا الكتاب، الكثير من تعاليم السيد المسيح عن الملكوت.

وسنعتمد في كثير مما نقول على الإصحاحات الأولى من بشارة متى والمعروفة باسم «الموعظة على الجبل». تحتوي الإصحاحات من ٥ إلى ٧ على أوضح تعاليم السيد المسيح عن الملكوت. لكن الكثيرين يسيئون فهم هذه الإصحاحات معتقدين أنها مجرد قواعد معطاة من **الله** وليست وصفًا لحياة يملك عليها **الله**.

لا يظهر تعبير «ملكوت **الله**» و«ملكوت السماوات» كثيرًا بعد ذلك في العهد الجديد. لكن مبدأ المُلك الشخصي الفعال **لله** من خلال شخص المسيح والتحرر من ناموس موسى ينعكسان في كل العهد الجديد. تُستخدم تعبيرات مثل «ربوبية المسيح» بدلاً من لفظ «الملكوت» لكن يشير كلاهما إلى نفس الحقيقة.

ومع ذلك، يجب أن يكون فهم العهد الجديد الأشمل للملكوت جزءًا من فهمنا لملك **الله** الحاضر والمستقبلي.

بشارة يوحنا

- يربط يسوع رؤية الملكوت ودخوله بالولادة الثانية في (يوحنا٣: ١–٢١). الملكوت هو عمل **الله** ولا يستطيع أحد أن يدخل الملكوت دون أن يُولَد ثانية من **الله**. وذلك كله عمل **الله** وليس البشر.
- تحدث يسوع إلى بيلاطس عن الملكوت في (يوحنا١٨: ٣٣–٣٨). وفرَّق في حديثه بين الأفكار السياسية والروحية عن المُلك، موضِّحًا أن مُلكه لا يقهر لكن يشهد.

سفر الأعمال

- يرد «الملكوت» في (أعمال١٩: ٨ و٢٠: ٢٥ و٢٨: ٢٣) لوصف محتوى الكرازة والشهادة. غالبًا ما يستخدم سفر الأعمال تعبير «كلمة الرب»

ليشير إلى محتوى رسالة البشارة كما في (أعمال١٩: ١٠). يعطي كلا التعبيرين نفس المعنى، حيث إن كلمة **الله** هي مُلكه وهو يملك من خلال كلمته.

- كذلك يوازي (أعمال٢٠: ٢٤–٢٥) بين الملكوت و«بشارة النعمة». ويربط (أعمال٢٨: ٢٣، ٣١) بين الملكوت والتعليم عن الرب يسوع المسيح.

رسائل بولس

- تصحِّح (رومية١٤: ١٧) تفكير هؤلاء الذين يعتقدون أن الملكوت عبارة عن مجموعة من القواعد والتنظيمات.
- توضح (١كورنثوس٤: ٢٠) أن الملكوت ليس مجرد شيء نتحدث عنه.
- تتحدث (١كورنثوس٦: ٩–١٠) و(غلاطية٥: ٢١) و(أفسس٥: ٥) عن الميراث المستقبلي للملكوت. وهذا هو أساس التوجُّه إلى السلوك الأخلاقي، حيث إن الفساد واللاأخلاقيات تمنع المؤمنين من وراثة الملكوت.
- تصف (١كورنثوس١٥: ٢٤–٢٨) المسيح مسلِّمًا الملكوت للآب. لكن الفكرة الأساسية في النص هي أن المسيح يملك بالفعل. يؤكد النص على حدث يقع في الوقت الحاضر، ويشير في الوقت نفسه إلى نقطة ذروة مستقبلية.
- تذكرنا (١كورنثوس١٥: ٥٠) أن لا أحد يدخل الملكوت بجهوده البشرية.
- تربط (كولوسي١: ١٣–١٤) بين الملكوت والخلاص والمغفرة. كما تشير مثل البشائر إلى التغلب الفعَّال على قوى الشر، وإن كانت تتحدث عن هذه الحقيقة بطريقة مختلفة.
- نفهم من (كولوسي٤: ١١) أن الملكوت هو هدف خدمة بولس التبشيرية.

- تقول (١تسالونيكي٢: ١٢) صراحة أن أعضاء الملكوت – أي الذين يعيشون تحت حكم **الله** – يجب عليهم أن يعيشوا بطريقة تليق بـ**الله**.
- تتحدث (٢تسالونيكي١: ٥) و(٢تيموثاوس٤: ١، ١٨) عن الملكوت المستقبلي.

رسائل أخرى

- تعبِّر (عبرانيين١٢: ٢٨) عن اختبار حاضر، ورجاء مستقبلي.
- يتحدث (يعقوب٢: ٥) عن الميراث.
- تصف (٢بطرس١: ١١) دخول الملكوت.

يحتوي سفر الرؤيا على العديد من الإشارات إلى الملكوت، وهي جميعًا تصف المُعارَضة التي يلقاها الملكوت وظهوره الأخير كما نرى في (١: ٩ و١١: ١٥ و١٢: ١٠). كما أن رؤية أورشليم الجديدة تمثل تحقيق كل الوعود الكتابية المتعلقة بالملكوت المستقبلي.

تتناول جميع نصوص الملكوت نفس الأفكار: الحاضر والمستقبل والمُعارَضة والخلاص والميراث وكلمة **الله** ونعمة **الله**.

نقرأ في (أعمال١: ٣) أن يسوع علَّم تلاميذه عن الملكوت خلال فترة الأربعين يومًا بين قيامته وصعوده. حاول التلاميذ أن يفهموا المُلك الشخصي **لله** عندما كان يسوع موجودًا بينهم بالجسد. لكن كيف سيعمل ملكوت **الله** بينما المسيح غير موجود بالجسد؟

من المفترض أن يسوع أعطى تلاميذه تعليمات بشأن طريقة حياتهم وكرازتهم، حيث يوضح (أعمال١٧: ٧) أنهم استمروا في إعلان يسوع كملك.

كان مُلك **الله** يحكم حياة المسيحيين الأوائل ويميز الرسالة الثورية التي أعلنوها. كان يسوع هو سيدهم، سواء تحدثوا عنه كملك لليهود أو كرب (قيصر) للأمم.

الملكوت والكنيسة:

هناك بالتأكيد علاقة بين الملكوت والكنيسة. لكن الاثنين ليسا نفس الشيء. الملكوت ليس طريقة للنظر إلى الكنيسة أو لوصفها. والكنيسة هي جماعة الأشخاص الذين ينتمون إلى المسيح: الأحياء منهم على الأرض والموجودون منهم معه في السماء. أما الملكوت، فهو كل عمل **الله** في العالم من خلال شخص المسيح.

السيد المسيح هو مركز كل من الكنيسة والملكوت. لكن «الكنيسة» تلفت انتباهنا إلى نتائج عمله، إلى العروس والجسد وهكذا. في حين أن الملكوت يركز على شخصه وعلى عمله. الكنيسة هي جماعة الأشخاص الذين قبلوا البشارة والملكوت، الذين يشتركون في خلاص الملكوت وينتظرون وراثة الملكوت. لكن الكنيسة ليست هي الملكوت.

إن المسيحيين المؤمنين – الذين يكوِّنون الكنيسة – هم الأشخاص الذين يُرى الملكوت من خلالهم. إننا نور العالم وملح الأرض نعيش تحت سلطان الملك ونتعلم منه وحده. وعليه، نقول إن الكنيسة هي أداة للملكوت، تنفذ مهام الملكوت بالحياة تحت مُلك **الله**.

الكنيسة مدعوة للكرازة بالملكوت للعالم، وللصلاة من أجل أن يأتي الملكوت بالمجد. كما يجب على الكنيسة أن تنقاد دائمًا بالملكوت، لكنها لن تصبح هي الملكوت. بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول إن **الله** يملك علينا،

ولكننا لسنا مُلك **الله**. تنتج الكثير من أخطاء الكنيسة الفكرية والعملية من الخلط بين الكنيسة والملكوت.

لقد أتى الملكوت، والمسيح هو الملك. ويظهر مُلك المسيح بصورة أوضح عندما تكون الكنيسة ضعيفة واهنة، وكذلك عندما تكون قوية مزدهرة. لا يعتمد ملك المسيح على حالة الكنيسة لأنها ملكه ومن حقه. لكن الكنيسة تعتمد على الملكوت.

يحتاج كل عضو من أعضاء الكنيسة إلى الحياة في ظل الملكوت، وفي ظل ملك **الله** من خلال المسيح.

الملكوت والدولة:

هناك موضوع آخر مرتبط بقضية العلاقة بين الملكوت والكنيسة وهو العلاقة بين الملكوت والدولة. تعاني الكنيسة أيضًا من تشويش في فهم هذه العلاقة. حاول البعض في مراحل مختلفة من التاريخ الكنسي خلط التعاليم الكتابية عن ملكوت **الله** بفكرة الدولة. لكن هذا الفكر يبتعد عن تعليم المسيح الواضح في (متى٢٢: ٢١) «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما **لله لله**».

الفصل بين الكنيسة والدولة يعني أن ملكوت **الله** لا يأتي بوسائل أرضية سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية. سنرى في الجزء الرابع من هذا الكتاب كيف أن المسيحيين مدعوون أن يكونوا «ملح ونور» المجتمع. لكن ليس هناك شيء في كل العهد الجديد يدعونا أن نحول ملكوت **الله** إلى كيان سياسي على الأرض. عندما يعود السيد المسيح إلى الأرض كملك، سيؤسِّس ملكوت **الله** كاملاً، وعندها سنرى التجلي الخارجي للملكوت على الأرض.

عندما يحاول المسيحيون تأسيس ملكوت **الله** بالقوة العسكرية أو الوسائل السياسية أو الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية تكون النتائج مأساوية. الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع، والحملات الصليبية المسيحية في العصور الوسطى، وبعض المصلحين في القرن السادس عشر، وبعض الأصوليين المسيحيين في القرن العشرين، جميعهم سلكوا هذا الطريق الخاطئ. عندما نتأمل في طبيعة الملكوت التي نناقشها في هذا الكتاب، سندرك أنه ملكوت روحي لا يأتي بأية وسائل بشرية.

لقد دُعي شعب **الله** في العهد القديم أن يعيش في دولة دينية يحكمها **الله** من خلال قوانينه التي كانت قوانين الأرض. لكن يسوع غيَّر ذلك عندما أوفى بكل مطالب ناموس **الله** وبتأسيس ملكوت **الله** في قلوبنا بالإيمان. أي دين يحاول اليوم تأسيس ملكوت **الله** بطرق سياسية قهرية يبتعد كل البعد **عن قصد الله.**

تناقش بقية فصول الكتاب معنى أن نعيش تحت ملك **الله** اليوم، ونتمتع بكل ما يقدمه لنا حتى يحضر يسوع ملء الملكوت في نهاية الأزمنة.

الجزء الثاني

دعوة الملكوت

بعد أن وُضع يوحنا المعمدان في السجن، ذهب يسوع إلى الجليل وبدأ في إعلان الأخبار السارة عن الله. طبقًا لـ(مرقس١: ١٤–١٥) كان محتوى هذه الأخبار: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل». نقرأ في (متى٣: ١ و٤: ١٧) نفس هذه الرسالة على لسان كل من يوحنا ويسوع في بداية خدمتيهما. وهذا يعني أن اقتراب الملكوت لم يكن مجرد حدث يحتاج إلى إعلان، بل تحدٍّ كان على الناس أن يستجيبوا له.

كان اقتراب الملكوت بالنسبة لكل من يوحنا ويسوع حدثًا مهمًّا جدًّا يحتم دعوة الناس إلى تغيير أسلوب تفكيرهم وبالتالي سلوكهم. أعلن يسوع إتيان الملكوت بلغة سهلة واضحة:

١. لقد كمل الزمان، وبدأ عهد المُلك الشخصي لله.
٢. يجب عليكم إبداء استجابة شخصية فعَّالة لحضور المُلك الشخصي لله.
٣. يطلب الله منكم أن تخضعوا كلية لمُلكه الشخصي. وهذا يعني أن عليكم أن تتوبوا وتؤمنوا.

الدعوة إلى التوبة:

حيث إن يوحنا ويسوع أعلنا أن دعوة الملكوت الرئيسية هي «التوبة»، فعلينا إذًا أن نعرف معنى هذه الكلمة. يربط الكثير من المؤمنين التوبة بمجرد التغيير في السلوك. لكن هذا ليس صحيحًا، وإلا لكانت دعوة الملكوت هي مجرد «غيِّروا سلوككم ثم آمنوا».

من المفيد أن نلقي نظرةً على الكلمات الكتابية التي تعطي معنى «التوبة» قبل أن نتعمق في مناقشة دعوة الملكوت إلى التوبة.

التوبة في العهد القديم:

ناحم

عادة ما تُتَرجَم الكلمة العبرية «ناحم» بمعنى «يتوب». يعكس الأصل المشتقة منه الكلمة معنى «يتنفس بعمق». والكلمة تعني حرفيًّا «يخفق، ينبض، يتنهد، يتأوه». كما تأتي الكلمة في العبرية للدلالة على معنى «يندب» أو «يحزن». عندما تصدر هذه العواطف انطلاقًا من الرغبة في خير الآخرين، يكون المعنى المقصود هو الرحمة والتعاطف. وعندما تصدر انطلاقًا من مراقبة الشخص لشخصيته وأفعاله، يكون المعنى المقصود هو «يأسف، يندم» أو «يتوب».

لا تستخدم كلمة «ناحم» أبدًا لوصف شخص يتوب. لكنها عادة تُستخدم بالارتباط بالله. يمكن أن نرى ذلك في (تكوين٦: ٦) و(خروج٣٢: ١٤) و(قضاة٢: ١٨) و(١صموئيل١٥: ٣٥) و(إرميا٢٦: ١٩) و(عاموس٧: ٣، ٦). من الصعب جدًّا أن نفهم هذه النصوص إن كنا نفهم أن التوبة تعني «التوقف عن ارتكاب أفعال الشر». لكن من السهل جدًّا أن ندرك المقصود منها إن عرفنا أن معنى التوبة هو «تغيير الرأي» وهو ما فعله **الله** طبقًا لنصوص مثل (تكوين١٨: ١٦–٣٣) و(يونان٣: ١٠)

لكن علينا أن ندرك أن **الله** عندما يغير رأيه بشأن شيء ما، يأتي هذا متَّفقًا مع طبيعته غير المتغيرة وقصده المُعيَّن سلفًا. على سبيل المثال، تعكس «توبته» في (يونان٣) رغبته الأبدية في مباركة هؤلاء الذين يدعونه ويتجهون إليه.

شوب

غالبًا ما ترد الكلمة العبرية «شوب» في الترجمات القديمة بمعنى «توبة» عندما تأتي بالارتباط بأشخاص. لكن المعنى الحرفي للكلمة هو «يتحول» أو «يغيِّر الاتجاه» وليس «يغيِّر الرأي». وهي تستخدم في العهد القديم للدلالة على الاتجاه إلى الله. نرى هذا المعنى في (٢ملوك١٧: ١٣، ٢٣: ٢٥) و(٢أخبار٦: ٢٦، ٧: ١٤، ١٥: ٤، ٣٠: ٦) و(نحميا١: ٩) و(مزمور٧٨: ٣٤) و(إشعياء١٩: ٢٢، ٥٥: ٧) و(إرميا٣: ١٢، ١٤، ٢٢، ١٨: ٨) و(حزقيال١٨: ٢١، ٣٣: ١١، ١٤) و(دانيال٩: ١٣) و(هوشع١٤: ١، ٢) و(يوئيل٢: ١٣) و(يونان٣: ١٠) و(زكريا١: ٣، ٤) و(ملاخي٣: ٧).

تصف كلمة «شوب» حالة عقلية إيجابية، وهي لا تعني بالضرورة التوقف عن فعل شيء. لكنها تعني تحول الشخص إلى الله بكل كيانه. نعلم أن التحول إلى الله يعني التحول عن الأفكار والأفعال والاتجاهات الخاطئة. لكن هذه كلها هي نتائج التحول إلى الله وليست سببًا له.

التوبة في العهد الجديد

Metanoia

يستخدم فعل «metanoeo» في العهد الجديد بمعنى «يتوب» والاسم منه «metanoia» بمعنى توبة. تتكون كلا الكلمتين من شقين: الأول «meta» بمعنى «بعد» أو «تغير» والثاني «nous» بمعنى «عقل». وهذا يعني أن التوبة تعني حقًا تحولاً كاملاً في الفكر والاتجاه والنظرة. التوبة– بعبارة أخرى– هي ثورة فكرية أو إعادة تفكير قوية. وهي تعني تغير الفكر نحو الله، تغير أفكارنا عن طبيعته وملكه، وعن يسوع والخطية والقداسة وأنفسنا. التوبة تعني التوقف عن التفكير بطريقتنا والبدء في التفكير بطريقة الله.

يساعدنا الاستخدام العام للكلمة في العهد الجديد على فهم معنى التوبة بصورة أعمق:

- بدأ يسوع خدمته بالدعوة إلى التوبة (متى٤: ١٧).
- أنهى يسوع خدمته بالتشجيع على الكرازة بالتوبة إلى كل الأمم (لوقا٢٤: ٤٧).
- علَّم يسوع أن التوبة لازمة للخلاص (لوقا١٣: ٣–٥).
- أرسل يسوع الاثني عشر كي يكرزوا بالتوبة (مرقس٦: ١٢).
- دعا يسوع الخطاة وليس الأبرار إلى التوبة (لوقا٥: ٣٢).
- إن السماء تفرح بتوبة الخطاة (لوقا١٥: ٧، ٧٠)
- صحَّح بطرس أفكار من كانوا يستمعون إليه يوم الخمسين ودعا سائليه إلى التوبة (أعمال٢: ٣٨).
- حاور بولس أهل أثينا فيما يتعلق بأفكارهم عن **الله**، وأخبرهم أن **الله** الحقيقي يأمر كل الناس أن يتوبوا. (أعمال١٧: ٣٠).
- في رسالته الختامية إلى قادة أفسس، لخص بولس رسالته في عبارة «التوبة إلى **الله**» (أعمال٢٠: ٢١).
- الثورة في الفكر – أي التوبة – لا تأتي بمجهود ذاتي. لكنها عطية من **الله** (أعمال٥: ٣١ و١١: ١٨).
- ترتبط التوبة بعطيتين من **الله** هما المغفرة والحياة الأبدية (لوقا٢٤: ٤٧) و(أعمال٢: ٣٨ و٣: ١٩ و٥: ٣١ و١١: ١٨).

نرى في كل هذه النصوص أن التوبة مطلب أساسي للأشخاص الذين سيتبعون يسوع – وهذا لأنها واجبة على كل البشر. إلى أن يتوب الناس، إلى أن يغيروا أذهانهم (أو يخضعونها للتغيير من قِبَل **الله**) فيما يتعلق بأنفسهم و**الله**، لن يدركوا احتياجهم إلى الخلاص.

رأينا أن لدى اليهود العديد من الأفكار الخاطئة عن الملكوت. كما رأينا أن

لديهم تصورات خاطئة عن المسيا. لذا، كانت الدعوة إلى التوبة في سياق الإعلان عن قدوم الملكوت هي دعوة إلى تغيير جذري في الفكر. لا يوجد شيء أصعب من هذا بالنسبة لمعظم الناس.

ما جاء يسوع ليفعله في حياته وموته يمكن فقط أن يطبقه من يدركون عدم قدرتهم على أن يخلِّصوا أنفسهم، ويشعرون كذلك باحتياجهم إلى علاقة جديدة مع **الله**. وتغيير الفكر نحو حالتنا وطبيعة **الله** ليس كافيًا في حد ذاته، لكنه بداية مهمة وأساسية للتغير.

Metamelomai

هناك فعل يوناني آخر يُستخدم في سياق الحديث عن التوبة هو «metamelomai». يعبِّر هذا الفعل –مثل الكلمة العبرية « ناحم»– عن الجانب الشعوري للتوبة. وهو يعني «يندم» أو «يشعر بالأسف». يستخدم يسوع هذا الفعل في (متى٢١: ٢٩، ٣٢) في مثل الابنين. أُخبر كلا الابنين أن عليهما العمل في الكرم، فرفض الأول لكنه غيَّر رأيه فيما بعد (أي ندم على قراره) ثم مضى للعمل. لكن الآخر قال إنه لن يذهب.

لكن الشعور الناتج عن الفعل «metamelomai» لا يؤدي دائمًا إلى التوبة الصادقة، بل يمكن أن يقتصر على مجرد الندم أو الأسف. اقتصرت توبة يهوذا في (متى٢٧: ٣) على الشعور بالندم، ولم تصل أبدًا إلى مستوى التخلي عن الخطية. الأسف الحقيقي ليس هو الندم الذي يقود إلى لا شيء، بل هو مشاعر إلهية من الأسف والألم يشعر بهما الشخص نتيجة لإساءته إلى **الله**. يدل هذا على أن التوبة تتضمن التغيير القلبي والندم المقدس على فعل شيء خاطئ. وتؤدي التوبة في آخر الأمر إلى التغيُّر في الحياة الشخصية والتبدل في السلوك كما في حالة الابن الأول في المثل.

Epistrepho

الكلمة اليونانية «epistrepho» المستخدمة في العهد الجديد توازي الكلمة العبرية «شوب». وهي تعني أيضًا «يتحول» وغالبًا ما تُترجَم «يهتدي» في الترجمات القديمة للكتاب المقدس.

نفهم من (أعمال٣: ١٩ و٢٦: ٢٠) أن التوبة والاهتداء – أي الرجوع إلى **الله** – مرتبطان لكنهما مختلفان. الاهتداء هو كل عملية الرجوع إلى **الله**. أما التوبة، فهي مجرد جزء منها. يصف الاهتداء فعل الرجوع إلى **الله** بكل الكيان. أما التوبة فتصف الثورة الفكرية والتغير الأساسي في تفكيرنا وقِيَمنا وأفكارنا.

تُستَخدَم كلمة «Epistrepho» كي تُظهِر الاختلاف المميَّز الذي تنطوي عليه التوبة، والجانب الإيجابي للتغير الذي تحدثه.

رأينا فيما سبق ثلاث كلمات مستخدمة بمعنى التوبة في العهد الجديد: كلمة «metanoeo» التي تصف الجانب «الفكري» للتوبة، وكلمة «metamelomai» التي تصف جانبها «الشعوري»، وكلمة «epistrepho» التي تصف الجانب «الاتجاهي» أي الاتجاه بعيدًا عن الخطية ونحو أسلوب حياة جديد مؤسَّس على طاعة **الله**.

تتضمن التوبة الحقيقية ثلاثة عناصر. والعنصر الأول – أي التغير الفكري – هو العنصر الضروري للخلاص. وهذا ما قصده يوحنا والسيد المسيح عندما جاهرا بدعوة «توبوا وآمنوا». عندما نفكر بطريقة مختلفة في يسوع، حينها فقط يمكن أن نقبله. وهذا يعني أن التوبة –كثورة فكرية– هي مطلب أساسي للخلاص.

إن التوبة الكتابية الحقيقية ليست تغيرًا في السلوك، لكنها تؤدي إلى التغير في السلوك. التوبة كتغيُّر في السلوك – إن صح أن نسميها هكذا – هي ثمر الخلاص الحقيقي والتحول الحقيقي إلى **الله** بكل الكيان. عندما نغير تفكيرنا بحق، عندما نفكر بطريقة مختلفة، نشعر حتمًا بالندم على الأفعال الخاطئة التي ارتكبناها، ونسعى نحو التوقف عنها. وهذا يعني أن الجانب الفكري والشعوري والاتجاهي مرتبطون جميعًا.

من يقولون إن التوبة تعني في الأساس «التوقف عن فعل الخطأ» هم مخطئون، ليس فقط في فهم معنى كلمة يونانية، لكن لأنهم يدَّعون بمثل هذا التفسير أن الحصول على الخلاص هو بالمجهود البشري وليس بنعمة **الله** بالإيمان. يوضح العهد الجديد أن المجهود البشري أو الأعمال لا علاقة لها بالخلاص وبالتأكد من الحصول عليه وباستمرارية امتلاكه. لكنها مجرد توضيح لمن حولنا أننا خلُصنا كما نرى في (متى٥: ١٦) على سبيل المثال.

التعليم بأن التوبة تعني التوقف عن فعل الخطأ والبدء في التصرف بطريقة مختلفة يقود إلى كل من التقيد بالشريعة، والإحباط. رأينا أن القصد من إتيان ملكوت **الله** – أو مُلكه – هو تحريرنا من كل الشرائع. وعليه، لا يمكن أن تعني الدعوة إلى التوبة شيئًا يخالف جوهر الملكوت وأساسه.

لكن هناك شيء متفق عليه وهو أن التوبة المسيحية لها ثمارها دائمًا. يوضح (لوقا٣: ٨–١٤) هذه الحقيقة ويقدم لنا بعض الأفكار عن الثمار المُتوَقَّعة. إن الأمثلة الثلاثة التي يصفها يوحنا المعمدان هي ثمار ناتجة عن التوبة وليست نماذج للتوبة.

يمكن أن نرى هذا الاختلاف في (رومية١٢: ٢). بدلاً من إثبات تغيرنا

للعالم، علينا أن نتغير بتجديد أذهاننا. لا يستخدم بولس كلمة «توبة» هنا، إلا أنه يصف الثورة الفكرية التي هي مفتاح معرفة إرادة الله، والتحرر من الطريقة العالمية في التفكير والسلوك، والإثمار في الحياة الجديدة المتغيرة. إنها الثورة الفكرية في تفكير وتوجهات التلاميذ، والتي قادت إلى حياتهم المتغيرة المثمرة الخاضعة لمُلك الله الشخصي.

لو غيَّر الشخص تفكيره عن الله والمسيح والخطية وكل شيء آخر، يكون الطريق المنطقي الذي سيسلكه هو البعد عن كل خطية والاعتراف بأنه لا مكان لها في حياة المؤمن. لكن هذه عملية تتطلب وقتًا. إن تغير السلوك والبعد عن الخطية هو في الحقيقة عملية مستمرة تحدث على مدار حياة الشخص، وتحققها لا يعني الوصول إلى حالة مُطلَقة من الكمال وعدم الخطية. لا يتميز كل مؤمن بالثبات، لكن هؤلاء الذين يتبعون أسلوب حياة يتصف بالتوبة، سيصلون إلى النضوج أو الكمال في المحبة التي فيها يمكنهم أن يتحولوا عن كل خطية معروفة، ويكتسبوا شخصية مسيحية كاملة النضج. تحدث يسوع عن هذه المستويات المختلفة من الحياة المسيحية. وحتمًا سيجازي هؤلاء الذين يعيشون حياة الثبات من أجله.

الدعوة إلى الإيمان:

عندما نفهم أن دعوة الملكوت الأولى «توبوا» تعني «غيِّروا أذهانكم»، سيتضح لنا لِمَا جاء الإيمان بعد التوبة. يؤدي أي تغير في الذهن إلى البدء في الإيمان بأشياء جديدة. ولو لم يكن هناك إيمان جديد، لما كان هناك أي تغير في الذهن أو أي توبة من البداية. الإيمان بالنسبة لكثيرين هو تغيير ذهني. لكن الإيمان في العهد الجديد ينطوي على الفعل أيضًا، حيث هو تطبيق التوبة.

"الإيمان" و "التصديق" في الإنجليزية:

الكلمة اليونانية المستخدمة في العهد الجديد بمعنى «يؤمن» (وبالإنجليزية to believe) هي (pisteuo). والمعنى الحرفي للفعل (pisteuo) هو «يقتنع بـ» أو «يضع ثقته في». وهو ينطوي على معنى الاعتماد والتفكير. أما الكلمة اليونانية (pistis) فتُترجَم «إيمان» (وبالإنجليزية faith). يعطي هذا للبعض انطباعًا أن كلمتي (faith) و(to believe) هما طريقتان مختلفتان في الإنجليزية للتعبير عن نفس الفكرة باليونانية. لكن هذا ليس صحيحًا، حيث إن (to believe) هو الفعل من الاسم (faith).

طبقًا لـ(مرقس١: ١٥) يربط يسوع في كلماته الأولى في الخدمة بين الإيمان والتوبة، حيث يقول في حديثه عن إتيان الملكوت إن الإيمان بالإنجيل يجب أن يُضاف إلى التوبة. والإيمان بالإنجيل يعني الإيمان بيسوع نفسه. كان على الذين يستمعون إلى يسوع أن يكرسوا أنفسهم لإرسالية يسوع وكل ما يمثله. كان عليهم أن يؤمنوا، يعتمدوا، يثقوا في يسوع.

تسجل البشائر كل هذه التحديات:

- مباشرة بعد (مرقس١: ١٥)، كان على التلاميذ الأوائل أن يتركوا الصيد ويتبعوا يسوع.
- كان الكثير من معجزات الشفاء نتيجة مباشرة للإيمان. (متى٨: ١٠، ١٣ و٩: ٢٢، ٢٩ و١٥: ٢٨) و(مرقس٩: ٢٤ و١٠: ٥٢) و(لوقا٧: ٥٠ و١٧: ١٩).
- وبخ يسوع التلاميذ لعدم إيمانهم. (متى٨: ٢٦) و(مرقس٤: ٤٠) و(لوقا ٨ : ٢٥).
- يعد يسوع أصحاب الإيمان بالعديد من الإنجازات العظيمة. (متى١٧: ٢٠ و٢١: ٢١–٢٢) و(لوقا١٧: ٥).
- يخلق الإيمان إمكانية تحقيق المستحيلات. (مرقس٩: ٢٣).

توضح كل هذه الأمثلة الحاجة التي يمليها الملكوت إلى الإيمان بـ(الاعتماد على) قوة يسوع. تقوم إرسالية يسوع على الاقتناع بأن كل ما يتوقعه **الله** من الإنسان غير مستطاع بالمجهودات البشرية، لكنه مستطاع عندما يربطنا الإيمان بالطريقة الخاصة التي يعمل بها **الله**. نفهم هذه الإمكانية فقط عندما نعرف أن محورها هو يسوع. يصنع **الله** المستحيل في شخص المسيح، ويملك ملكًا شخصيًا من خلاله.

الإيمان في بشارة يوحنا

نفهم من (يوحنا٢٠: ٣٠–٣١) أن الهدف من بشارته هو أن نؤمن. تمتلئ البشارة بأكثر من مائة عبارة عن الإيمان. دائمًا ما يستخدم يوحنا الفعل (pisteuo)، ولا يستخدم أبدًا الاسم (pistis). لا نعرف لماذا كتب يوحنا بهذه الطريقة. لكنه ربما أراد أن يؤكد على ممارسة الإيمان وليس على محتواه. والإيمان دائمًا في بشارته ليس مجرد تصديق عقلي على عقيدة ما، لكنه ينطوي دائمًا على علاقة.

كذلك يرد الإيمان دائمًا في بشارة يوحنا في سياق قبول الرسالة – أي الإيمان بأن ما قاله يسوع صحيح. لكن الإيمان موجَّه دائمًا إلى شخص يسوع ويتضمن الثقة فيه شخصيًا كما في (يوحنا٤: ٥٠ و٨: ٣٠ و١٢: ١١ و١٤: ١). ينشأ الإيمان في بعض الأحيان بسبب الأعمال التي يعملها يسوع. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا٢: ١١ و١٠: ٣٨). لكن يسوع يطلب دائمًا من تابعيه أن يؤمنوا بشخصه كما في (يو١٤: ١، ١٠).

يوضح (يوحنا١: ١٢) أن الخلاص يأتي كنتيجة للإيمان. والإيمان هو الوسيلة التي يأتي بها الناس إلى الملكوت. وهذا يعني أن هناك فرقًا واضحًا

بين المؤمنين والعالم. نرى في (يوحنا٣: ١٦–١٧) أن الإيمان يضمن الحياة الأبدية، وغيابه يقود إلى الهلاك.

نعرف أن الإيمان بيسوع يبدأ بالتغيير الجذري في التفكير الذي يُسمَّى «التوبة». لا يذكر يوحنا صراحةً كلمة «التوبة»، لكنه يصف التغيير العقلي الضروري للإيمان. وإن كانت التوبة ضرورية للإيمان، إلا أنها لا تقود إليه دائمًا. لم يَرَ الجمع في حادثة إشباع الخمسة الآلاف (يوحنا٦: ٢٢–٥٩) أكثر من الخبز المادي. وعندما أدركوا أن نظرة يسوع للحياة مختلفة عن نظرتهم (يوحنا٦: ٦٠–٦٦)، رفضه الكثيرون منهم.

يتضمن الإيمان رد الفعل البشري تجاه دعوة **الله**. يقدم **الله** ابنه لنا وعلينا نحن أن نقرر بشأن قبولنا للابن. تستخدم بشارة يوحنا العديد من العبارات التي تعبِّر عن هذا القرار في (يوحنا٥: ٢٤ و٦: ٤٠ و٦: ٤٥ و٨: ٤٣، ٤٧ و١٢: ٤٥، ٤٧ و١٤: ٧، ٩ و١٧: ٢٣ و١٨: ٣٧). عندما نقبل يسوع ونطيعه، سنراه ونعرفه. وفي هذه الحالة، يكون رد فعلنا إيجابيًّا. لكن إذا اختلف رد فعلنا ولم نؤمن، نكون قد رفضنا مُلك **الله** الشخصي.

الإيمان في الكنيسة الأولى

نرى في سفر الأعمال أن الإيمان هو التطور الطبيعي للتوبة. نقرأ في (أعمال٢: ٤٤ و٤: ٤ و٤: ٣٢ و٩: ٤٢ و١١: ٢١ و١٤: ٢٣) أن المسيحيين الأوائل كانوا يُدعون «الذين آمنوا». ويسوع نفسه هو موضوع هذا الإيمان بالتأكيد كما نقرأ في (أعمال١١: ١٧ و١٤: ٢٣ و١٦: ٣١ و١٩: ٤ و٢٠: ٢١ و٢٤: ٢٤). إلا أننا نقرأ أحيانًا أن موضوع إيمانهم هو كلمة البشارة كما في (أعمال٤: ٤ و١٧: ١–١٢).

كان الإيمان الشخصي بيسوع هو العلامة التي تميز المسيحيين. لم يكن عليهم أن يغيروا أذهانهم بشأن يسوع فقط ، بل كان عليهم أيضًا أن يثقوا بشخص المسيح ويؤمنوا به ويعتمدوا عليه قبل أن يتمكنوا من تقدير ما فعله لأجلهم بموته وقيامته. نتناول موضوع التحول إلى الإيمان بتفصيل أكثر في الجزء المعنون «الخلاص بالنعمة» من سلسلة «سيف الروح».

نرى في (رومية١٠: ١٧) و(١كورنثوس١: ٢١) و(أفسس١: ١٣) أن الإيمان هو رد الفعل البشري تجاه البشارة. لكن الإيمان هو دائمًا الإيمان بالمسيح. وهو ليس مجرد الخطوة المبدئية لقبول عطية الله المجانية التي هي الخلاص كما ورد في (رومية٣: ٢٢–٢٥). لكنه عملية مستمرة، فكما علينا أن نستمر في التوبة – أي في التجديد المستمر لأذهاننا – علينا أيضًا أن نعيش بالإيمان. تعبِّر (رومية١: ١٧) و(غلاطية٢: ٢٠) عن هذه الطبيعة المستمرة للإيمان.

الولادة الثانية

يوضح كل ما تعلمناه عن دعوة الملكوت أهمية أن نستجيب ليسوع من قلوبنا. لكن علينا أن نعرف أن هذه الاستجابة ليست نابعة منا. يُعلِّم يسوع في (يوحنا٣) عن الاحتياج المطلق للولادة الثانية. يشرح يسوع لنيقوديموس انطلاقًا من (حزقيال٣٦: ٢٢–٢٧) و(إرميا٣١: ٣١–٣٤) أن الولادة الثانية أو «الولادة من فوق» هي الطريقة الوحيدة لرؤية الملكوت ودخوله.

نجد هذا التأكيد على أهمية الولادة الثانية في كل العهد الجديد (٢كورنثوس٥: ١٧) و(١بطرس١: ٣ و١: ٢٣) و(يعقوب١: ٢١) و(١يوحنا٣: ٩). توضح كل هذه النصوص أنه لا يمكننا أن نرتقي لمستوى تحديات الملكوت دون قبول

حياة الله وحياة الملكوت. إن كل ما نكتشفه عن أسلوب الحياة في الملكوت في هذا الكتاب يعتمد على كوننا مولودين ثانية. يصف السيد المسيح في الموعظة على الجبل أسلوب حياة الأشخاص الذين حصلوا على الولادة الثانية. كما يصف كيف يمكنهم أن ينموا في أمور الملكوت. لن يستطيع أي منا أن يعيش الحياة بالطريقة التي يصفها يسوع إن لم يكن مولودًا ثانية.

لا تقتصر دعوة الإيمان على مجرد قبول عمل المسيح، لكنها تمتد إلى تأسيس علاقة جديدة مع المسيح. تتميز هذه العلاقة بالإيمان بالمسيح وبالثقة فيه والاعتماد على شخصه فقط. وهذا يقودنا إلى الدعوة الثالثة للملكوت.

دعوة التلمذة:

نرى في (مرقس١: ١٥–٢٠) كيف انتقل يسوع من إعلان اقتراب الملكوت إلى دعوة الناس للتوبة والإيمان بالبشارة، ثم إلى دعوة أشخاص بعينهم كي يتبعوه. يصف (متى٤: ١٧–٢٢) مثل هذا التدرج في الدعوة. عندما نبدأ في الإيمان بيسوع، نجد أنه يدعونا إلى إعلان إيماننا باتباعه – أي بأن نصبح تلاميذ له.

الدعوة شخصية

الكلمة اليونانية التي تعني تلميذًا هي «mathetes». والمعنى الحرفي لهذه الكلمة هو «متعلِّم». تُشتق كلمة «mathetes» من الفعل «manthano» أي «يعلم». ينطوي الفعل على معنى أن التفكير التأملي يجب أن يُتبَع بفعل شيء ما. كما توضح كلمة «mathetes» أن طاعة التلميذ الحقيقي لا تقتصر على مجرد الطاعة الفكرية، حيث إن التلميذ الحقيقي يستمع إلى ما يقوله المعلِّم، ثم يفكر به وبعد ذلك يحاول أن يطبقه عمليًا.

يجب أن يتضح لنا أن مفهوم التلمذة ينبع من الفهم الكتابي لكل من التوبة والإيمان. يدعونا يسوع في (متى١١: ٢٨-٣٠) أن نتعلم منه شخصيًا. وهذه هي التلمذة الحقيقية. لم يَدعُنا يسوع إلى اتباع مجموعة من الأفكار والقواعد، بل إلى اتباعه هو شخصيًا. ولذلك، لم يَدعُنا أن نتعلم من قانون مكتوب أو من كتاب بل من شخصه.

الدعوة جماعية

على كل منا أن يستجيب شخصيًا لدعوة يسوع للتلمذة، ومع ذلك، يجب ألا ننسى أننا مدعوون لاتباع يسوع معًا كشعبه، فنحن جماعة تلاميذه. هذا البعد الجماعي للتلمذة مهم جدًا كي نفهم الملكوت فهمًا صحيحًا. لقد أسس يسوع كنيسته كجماعة من الأشخاص المُتلمِذين أي المسؤولين عن تلمذة آخرين. المهمة العظيمة التي ينص عليها (متى٢٨) توضح هذا الأمر جليًا.

على كل واحد منا أن يكون تلميذًا داخل الكنيسة، وأن يأخذ على عاتقه مهمة تلمذة الآخرين. لا نستطيع أن نسير بمفردنا كما لو أن دعوتنا الشخصية منفصلة عن كل هؤلاء الذين يتبعون المسيح. أعطانا يسوع نموذجًا لمهمة التلمذة من خلال علاقته مع الاثني عشر، حيث كان يقضي معهم معظم وقته. لقد علمهم ودربهم وأخيرًا أرسلهم كي يتلمذوا جميع الأمم. يعيد تلاميذ السيد المسيح في العصر الحديث اكتشاف هذا الجانب من التلمذة من خلال جماعات أو خلايا الخدمة.

الدعوة مُلِحَّة

تسجل البشائر العديد من الوقائع حول أناس تمت دعوتهم ليتبعوا يسوع، أي ليصبحوا تلاميذ له. وفي كل حالة، كانت الدعوة مُلحَّة وعاجلة جدًا. كان

عليهم أن يجيبوه حالما يدعوهم حتى لو تسبب ذلك في إرباكهم هم ومن حولهم. على سبيل المثال:

- سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا (متى٤: ١٨–٢٢).
- متى (متى٩: ٩).
- الشاب الغني (متى١٩: ٢١).
- شخص لم يُذكر اسمه (لوقا٩: ٥٩).
- فيلبس (يوحنا١: ٤٣).

نرى في هذه الأمثلة أن بعض الأشخاص تبعوا يسوع مباشرة. وهناك آخرون اختلقوا الأعذار لأنفسهم ولم يتبعوه. إن الدعوات التي يقدمها الملكوت مُلزِمة لكنها غير إجبارية. يريدنا **الله** دائمًا أن نستجيب في محبة، وهو لا يجبرنا على الاستجابة إن لم نشأ أن نتبعه بشروطه في الوقت الذي يحدده.

الدعوة حاسمة

إن الدعوة مُلِحَّة، عاجلة وأيضًا حاسمة. كان على الأشخاص الذين دعاهم يسوع أن يتخلوا عن كل شيء بصفة دائمة ويتبعوه.

- نرى في (لوقا٩: ٦٢) أنه ليس هناك نظر للوراء.
- يقول (مرقس١٠: ٣٣) إنه لا ينبغي أن ننكر يسوع أمام الناس.
- يوضح (يوحنا٨: ٣١) أن على التلاميذ الالتزام بتعاليم يسوع.

إن اتباع يسوع والتلمذة له ليست مجرد استجابة شعورية لتعاليمه واقتناع عقلي بها. إنها قرار دائم باتباعه والتعلُّم منه وطاعته والعيش بقربه.

الدعوة مُكلِّفة

نقرأ في (مرقس١: ١٦–٢٠) و(لوقا٥: ١–١١) قصة دعوة أربعة صيادين

هم سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا كي يصبحوا تلاميذ للسيد المسيح. عندما اتبع هؤلاء تعليمات يسوع اصطادوا كمًّا كبيرًا من الأسماك لم تتسع له شباكهم، لدرجة أن الشباك كانت معرضة للتمزق والقوارب للغرق.

يقول (لوقا٥: ١١) إنهم «تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ». وكلمة «كل» هنا شملت بالتأكيد الصيد المعجزي الذي حصلوا عليه، وعانوا حتى وصلوا به إلى الشاطئ. لقد كان هذا الصيد واحدًا من أنجح رحلات صيدهم على الإطلاق. ومع ذلك تركوا الصيد على الشاطئ لأصدقائهم وأسرهم كجزء من استجابتهم لدعوة يسوع.

يصف (لوقا١٤: ٢٥–٣٣) كيف تبعت جموع كثيرة يسوع. لقد كان لدى هذه الجموع حب استطلاع. كما كانوا منبهرين بما يفعله يسوع. لكنهم لم يرتبطوا بيسوع ولا حسبوا كلفة تبعيته. يغيب الجوهر الحقيقي للتلمذة عن هذا النص، حيث لم تفكر هذه الجموع بتمعن في كلفة اتباع يسوع. لم يكن هؤلاء ليصبحوا تلاميذ للمسيح دون ترك كل شيء.

نرى في (متى٦: ٣٣) أنه علينا أن نضع ملكوت **الله** أولاً. علينا –قبل كل شيء– أن نطلب ملكوت **الله** أو مُلكه، وأن نسعى نحو الحياة الحقة المستقيمة التي يعطيها. يوضح النص الموازي في (لوقا١٢: ٣١–٣٤) أن هذه الحياة المستقيمة تتميز بالعطاء غير الأناني.

عندما أدرك التلاميذ في (متى١٦: ١٣–٣٣) من هو يسوع، شرح لهم يسوع أن هذا يعني التألم والموت. وقد كان هذا تصريح رفضه التلاميذ. لذلك انتهر بطرس يسوع. لكن يسوع عنفه، موضِّحًا أن اعتراض التلاميذ على تألمه وموته إنما هو من الشيطان. كما أخبرهم

أن الدعوة الإلهية لإنكار الذات والتضحية بها تنطبق عليهم كما تنطبق عليه.

يقول يسوع في (متى١٦: ٢٤) و(مرقس٨: ٣٤): «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي». ويضيف (لوقا٩: ٢٣) أن هذا ينبغي أن يحدث « كُلَّ يَوْم». كانت هذه الكلمات موجهة لأشخاص بدأوا بالفعل في اتباع يسوع، ورأوا **الله** يعمل بقوة من خلالهم، وفهموا أن يسوع كان متجهًا نحو الرفض والموت. الآن –وقد علموا الحقيقة– يعطيهم يسوع حرية الاختيار بين الذات وإنكارها.

كي تصبح تلميذًا، يجب أن يكون شعارك اليومي هو «الموت للذات». وهذا ليس تدريبًا على الزهد والتقشف. لكنه وضع نصبح فيه غير مدركين لأنفسنا، بل مدركين لشخص يسوع فقط. وبعبارة أخرى، نضع المسيح مكان أنفسنا، ونثبت أنظارنا على اتباعه لدرجة أننا لا نرى الطريق شديدة الانحدار التي تنتظرنا، ونسد أذاننا عن الألم الذي يحثنا على التوقف. ويعني هذا الشعار أيضًا أن ندرك أنه ما من شيء في هذه الحياة يضاهي المجد الذي ينتظرنا إن تمثلنا بقدرة يسوع على الاحتمال.

عندما نتبع يسوع، يجب أن يعكس سلوكنا أننا نعني الموت لذواتنا وذلك بحمل الصليب الذي يقدمه **الله** لنا. وهذا ليس ألمًا جسديًا أو مشقة مختلفة عن المشقات التي يتحملها كل البشر. إنه عبارة عن بعض التضحية والصعوبات والرفض «من أجل شخص المسيح» يتحملها كل من يتبع يسوع.

لكل تلميذ من التلاميذ الذين يريدون اتباع يسوع صليب شخصي ينتظر أن يُحمَل. وعلى المسيحيين الذين يحملون الصليب أن يتوقعوا لأنفسهم

القليل من الأمل في الحياة مثل أشخاص يعيشون في انتظار تنفيذ حكم الإعدام فيهم.

وموت الذات هذا ليس كارثة، لكنه ثمر التكريس والالتزام. وهو ليس نهاية كل شيء بل بداية الحياة المثمرة مع المسيح، حيث نسمح لإرادته أن تملكنا وتتحكم فينا. لقد سمع الاثنا عشر شروط التلمذة هذه ولم يتراجع أيّ منهم.

دعوة أن نكون مثل المسيح:

هناك تدرج واضح في دعوة الملكوت؛ إننا مدعوون أولاً أن نغير طريقة تفكيرنا عن **الله** ويسوع وأنفسنا ونبدأ في التفكير بطريقة **الله** ويكون لنا موقفه واتجاهه. ثم علينا الإيمان بيسوع والاعتماد عليه كلية والثقة فيه.

رأينا أن هذه الثقة به تتمثل في أن نتبعه ونكون تلاميذ له. وهذا يعني أن نفكر في كلامه ونتعلم منه شخصيًا ثم ننفِّذ ما سمعناه عمليًا. لكن هذا ليس كل شيء، حيث إننا لسنا مدعوين فقط أن نتبعه. لكننا باتباعه مدعوون أن نكون مثله.

تسجل لنا البشائر خمس طرق مفتاحية على كل التلاميذ اتباعها كي يكونوا مثل المسيح:

١. المحبة

أخبر يسوع التلاميذ في (يوحنا١٣: ٣٤) أن لديه وصية جديدة لهم. وهذه الوصية هي «أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا». يرينا العدد التالي أن هذه المحبة تُثبِت للجميع أنهم تلاميذ يسوع. أعطى يسوع هذه الوصية لتلاميذه بعد لحظات من غسله لأرجلهم، مما يعني أن وصية يسوع بالمحبة يجب أن تُفهَم في سياق الخدمة العملية المتواضعة.

بعد فترة قصيرة –كما نقرأ في (يوحنا١٥: ١٢)– يعود يسوع لنفس موضوع المحبة، حيث يوصي تلاميذه للمرة الثانية بمحبة بعضهم البعض كما يحبهم هو. يعتقد الكثير من المؤمنين أنهم مدعوون لمحبة يسوع. وبالطبع هم كذلك. لكن أن نحب مثل المسيح يعني أن نحب بعضنا البعض بطريقة عميقة وعملية. يرينا (عدد١١) أن هذه هي الطريقة التي يصبح بها فرحنا كاملاً.

٢. العطاء

يشرح يسوع في (يوحنا١٥: ١٣–١٤) ما يقصده بالمحبة. إنها العطاء المضحي الباذل. إنها تعني أن نضع أنفسنا من أجل أصدقائنا. لو إننا نحب بعضنا البعض تلك المحبة الباذلة التي يحبنا بها يسوع، فإننا نصبح ليس فقط تلاميذه بل «أحباءَه» أيضًا. إن (عدد١٤) مهم جدًا، حيث يوضح أننا نصبح أحباء يسوع عندما نصنع كل ما يأمرنا به. هذا هو المُلك الشخصي لله مُطبَّق عمليًا. وهو أيضًا حياة الملكوت.

إننا لا نعرف ما الذي سيأمرنا به يسوع، ولا نعرف أيضًا ما الذي سيأمر به الآخرين، فأمره لكل منا شخصي وفريد. لكننا نعرف أن هذا الأمر يتضمن المحبة والعطاء الباذل المضحي. وهذا هو سياق كلمات يسوع في (يوحنا١٥: ١٣–١٤).

يحتوي (عدد١٦) على وعد رائع، لكننا لا نجرؤ على انتزاعه من سياقه. هذا الوعد هو لأحباء يسوع الذين يحبون مثلما يحب، ويعطون مثلما يعطي. إنه وعد لأتباعه الذين أصبحوا حقًا مثله.

٣. الخدمة

يحتوي (مرقس١٠: ٤٥) على إعلان مفتاحي عن شخص يسوع. كان

يسوع يقول عن نفسه دائمًا إنه «ابن الإنسان» – وهو لقب يحمل الكثير من الدلالات القوية عن الملكوت عند اليهود. يرد هذا اللقب في (دانيال٧: ١٣–١٤) حيث ابن الإنسان «أُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ».

عندما قال يسوع عن نفسه إنه ابن الإنسان، كان يقول ضمنيًا إنه من كتب عنه دانيال. لكن يسوع قلب المفهوم العام لابن الإنسان رأسًا على عقب في (مرقس١٠: ٤٥). قال يسوع إن ابن الإنسان لم يأت لتتعبد له كل الشعوب وتخدمه بل ليخدم هو: «ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ». تحدث يسوع بهذه الكلمات لتلاميذه كشرح وخاتمة لوصيته في (مرقس١٠: ٤٣–٤٤) المتعلقة بالخدمة بطريقة مختلفة تمامًا عن طريقة العالم: «فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا».

علينا أن نخدم بنفس الطريقة التي خدم بها ابن الإنسان. علينا –كرعايا الملك– أن نخدم يسوع. وخدمة يسوع تعني أن نخدم الآخرين مثل يسوع ونخدمهم مع يسوع. يتناول بولس هذا الأمر في (فيلبي٢: ٥–١١). لكن علينا أن نتأكد من ملاحظة أن بولس يقدم صورة يسوع الخادم عن طريق تشجيعنا بقوله: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا». ومرة ثانية علينا أن نفكر بطريقة **الله** ويكون لنا موقفه قبل أن نصبح مثله.

٤. العمل

ترتبط كلمات يسوع في (يوحنا١٤: ١٢) بكل ما سبق. «مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لأَنِّي مَاضٍ

إِلَى أَبِي». هناك نتائج مترتبة على الإيمان. لو فكرنا مثل يسوع ووثقنا به واعتمدنا عليه وتبعناه، ستكون النتيجة الطبيعية أن نجد أنفسنا نعمل الأعمال التي يعملها.

إن أول ما يرد على ذهن الكثيرين عند سماع هذا العدد هو صنع المعجزات. لكن هذا العدد يرد في سياق غسل المسيح لأرجل تلاميذه وحديثه معهم عن حياة البذل والعطاء والمحبة والخدمة. إن كنا نؤمن بالمسيح، فلنتوقع أن نتصرف مثله. وهذا يتضمن صنع المعجزات العظيمة بالطبع. لكن الخدمة المتواضعة ستكون هي الطابع المُميِّز لأعمالنا.

٥. الذهاب

يسجل لنا (يوحنا٢٠: ١٩–٢٢) كلمات يسوع الأولى لتلاميذه بعد قيامته. ويحتوي (عدد٢١) على دعوته الأخيرة لهم بأن يكونوا مثله: «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا».

يتحدث يسوع باستمرار عن نفسه في بشارة يوحنا كالمُرسَل الذي يخضع لمُلك **الله** الشخصي، الذي لا يقول كلامًا من نفسه، ولا يفعل أفعالاً من نفسه ولا يذهب إلى مكان من تلقاء نفسه. بل إن كل ما يقوله ويفعله هو من **الله**. يمكننا أن نتتبع هذه الحقيقة في كل بشارة يوحنا (٥: ١٩، ٣٠ و٦: ٣٨ و٧: ٢٨–٢٩ و٨: ٢٦، ٢٨–٢٩ و١٠: ١٨ و١٢: ٤٩–٥٠). يقول الابن ما يقوله الآب ويفعل ما يفعله ويذهب أينما يرسله.

أرسل يسوع تلاميذه بنفس الطريقة، وكان عليهم أن يذهبوا مثلما ذهب. هذا الالتزام يعني شيئين. أولاً: لا يستطيع التلاميذ أن يمكثوا في مكانهم، بل عليهم أن يعملوا ويتحركوا، عليهم أن «يذهبوا». ثانيًا: على التلاميذ

أن يذهبوا وهم خاضعون للمُلك الشخصي لله. علينا أن نذهب فقط أينما وحينما يرسلنا. وأن نقول ما يريدنا أن نقوله ونفعل ما يريدنا أن نفعله.

دعوة ميراث الملكوت:

إن محبتنا وعطاءنا وخدمتنا وعملنا وذهابنا الذي مثل المسيح في كل شيء ليس بلا مقابل. يوضح يسوع أن هناك ميراثًا لا حد له ومكافآت كثيرة تنتظرنا.

رأينا أن هناك نوعًا من الشد والتوتر في الملكوت بين ما هو «الآن» و ما هو «ليس بعد». كل دعوات الملكوت التي ناقشناها فيما سبق تتعلق بأمور الملكوت التي هي «الآن». الدعوة إلى التوبة والإيمان والتلمذة والتمثل بالمسيح هي «الآن» لليوم ولكل يوم. إنها دائمًا رسالة للحاضر.

لكن دعوة الملكوت الأخيرة تتطلع إلى اليوم الذي سيُعلن فيه الملكوت إعلانًا نهائيًا كاملاً ويتأسس للأبد. يمتلئ العهد الجديد بالكثير من وعود الملكوت. بعض هذه الوعود هي وعود مشروطة أي تتضمن مكافآت على الأعمال الصالحة. وبعضها غير مشروط أي يُمنح لكل الذين آمنوا. بعض منها وعود حاضرة. لكن أغلبها يتعلق بأمور الملكوت التي «ليست بعد».

- (متى٥: ٥) – الأرض
- (متى٥: ١٠) – ملكوت السماوات
- (متى٦: ١٩–٢١) – كنز في السماء
- (متى١٠: ٤٠–٤٢) – أجر الرجل البار
- (متى١٩: ٢٧–٣٠) – مائة ضعف
- (متى٢٥: ٣١–٤٠) – الملكوت المُعَد

- (لوقا٦: ٣٠–٣٨) – أجر عظيم
- (لوقا١٢: ٣٢) – الملكوت، كنز سماوي
- (لوقا١٤: ١٢–١٤) – أجر التطويب
- (لوقا١٦: ٩) – مساكن أبدية
- (أعمال٢٠: ٣٢، ٢٦: ١٨) – ميراث
- (رومية٢: ٦–١٠) – مجد وكرامة وسلام
- (رومية٨: ١٠) – الاشتراك في مجد المسيح
- (٢كورنثوس٩: ٦–١٤) – حصاد وافر
- (أفسس١: ١٧–١٩) – غِنَى مجد ميراثه
- (أفسس٢: ٤–٨) – غِنَى نعمته الفائق
- (كولوسي٣: ٢٣) – أجر الميراث
- (٢تيموثاوس٢: ١٢) – الملك مع المسيح
- (عبرانيين٦: ١٢) – المواعيد
- (رؤيا٣: ٢١) – الجلوس مع المسيح على عرشه
- (رؤيا٢١: ٧) – كل شيء

يخطئ البعض عندما يعتقد أن كل تعليم الكتاب المقدس عن الميراث يقول إنه ينبع تلقائيًا من حصولنا على الخلاص. لكن القراءة المتأنية لهذه النصوص توضح أننا لا نرث بمجرد الإيمان، لكن الميراث هو مكافأة الحياة الخاضعة لمُلك **الله**.

يُثبِت نص مثل (متى١٩: ٢٣–٢٠: ١٦) أن الميراث هو مكافأة. سأل بطرس يسوع في (عدد٢٧): «ماذا يكون لنا؟» وجاءت إجابة يسوع متضمنة الحديث عن الميراث. نرى في (عدد٣٠) الكثير من المفاجآت. كما يعلِّمنا المثل الذي يرد بعد ذلك عن الكثير من المكافآت غير المتوقَّعة.

ربما تكون واحدة من دعوات الملكوت هي: «اترك الكل واتبع يسوع». لكن سريعًا ما نسمع صدى لهذه الدعوة يتضمن وعودًا بمكافآت سماوية رائعة للتلاميذ الذين يتركون حقًا كل شيء. ربما لا نختبر الكثير من هذه المكافآت على الأرض. لكنها مضمونة لنا في اسم **الله** في اليوم الأخير.

الجزء الثالث

توجُّهات الملكوت

تعتبر الموعظة على الجبل المسجلة في (متى٥–٧) هي أشهر جزء من تعاليم السيد المسيح. لكنها ربما تكون في الوقت نفسه أكثر الأجزاء التي لا يفهمها الكثيرون. الموعظة على الجبل هي القسم التعليمي الأول من بين خمسة أقسام تعليمية تحتوي عليها بشارة متى (١٠، ١٣، ١٨، ٢٤–٢٥). قلنا سابقًا إن متى يكتب خصيصًا لليهود. والأقسام التعليمية الخمسة في بشارته توازي أسفار موسى الخمسة (من التكوين إلى التثنية) وتوحي بأن يسوع هو موسى ثاني.

لقد أحضر موسى أحكام **الله** إلى شعب إسرائيل. لكن متى يوضح أن يسوع تمم الشريعة وهو الآن يحضر طريقة جديدة أفضل لتنظيم حياة شعب **الله** – أي ملكوت السماوات أو الملك الشخصي **لله**.

على مدار كل الموعظة، يكشف يسوع بسلطان عن القواعد المفتاحية في ملكوته ويرسي المقاييس التي يتوقعها من رعاياه. ولكي يؤكد على سلطان هذه القواعد، بدأ الحديث عن بعضها بالكلمة العبرية المقدسة «آمين» التي تعني «بالحقيقة» أو «يقينًا». كما يؤكد يسوع على سلطانه الشخصي بقوله المتكرر «أما أنا فأقول لكم». من المهم جدًا أن نفهم أن الموعظة ليست:

- قواعد للمجتمعات غير المسيحية
- وسيلة لدخول الملكوت
- شريعة مسيحية جديدة

لكنها –كما نفهم من (متى٥: ١–٢)– تعاليم يسوع للأشخاص الذين أصبحوا بالفعل تلاميذ له، الذين سمعوا دعوة الملكوت وتركوا كل شيء كي يتبعوه. إن الموعظة هي وصف لأسلوب الحياة الجوهري البديل للتلاميذ الذين استجابوا لدعوة «اتبعني»، وبدأوا في الحياة تحت حكم **الله** الشخصي. سنرى على مدار هذا الكتاب أن أسلوب الحياة هذا:

- يمجِّد **الله**
- يتحدى العالم
- تترتب عليه مكافآت

إن مُلك **الله** الشخصي هو مركز كل تعاليم الموعظة على الجبل. على سبيل المثال، تتضمن الموعظة الصلاة الربانية (متى٦: ٩–١٣) التي تحتوي على العبارة المُميَّزة «ليأتِ ملكوتك»، والتي تتبع مباشرة بالمعنى المقصود منها في عبارة «لتَكُنْ مَشيئَتُكَ كَمَا في السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ». وتنتهي الموعظة على الجبل بتوضيح يسوع أن التلاميذ الذين يصنعون مشيئة الآب هم فقط من سيدخلون ملكوت السماوات (متى٧: ٢١).

تُرسي الموعظة على الجبل التوجهات –وليس الأفعال– التي تميز التلاميذ الحقيقيين. تُسمَّى مقدمة الموعظة (متى٥: ٣–١٢) بالتطويبات. وهي عبارة عن ثمانية توجهات أساسية يقدمها يسوع ويشرحها ويمثل لها على مدار الموعظة. هناك اختلاف بشأن عدد هذه التطويبات. يقول البعض إنها سبعة. ويقول البعض الآخر إنها تسعة أو عشرة. لكن لو اعتبرنا الأعداد (متى٥: ١٠–١٢) كوحدة واحدة، سيصبح عدد التطويبات ثمانية.

يبدأ كل تطويب بالكلمة اليونانية «makarios» التي عادة ما تُترجم

«مبارك» أو «سعيد». لكن الكلمة في الواقع لا علاقة لها بالبركة، فهي مشتقة من كلمة «mak» التي تعني «كبيرًا» أو «مطولاً» وهي ترسم صورة لشخص على وجهه ابتسامة كبيرة عريضة. إنها نفس الكلمة التي تستخدمها مريم في (لوقا١: ٤٨)، والمعنى الأدق لها هو «محظوظ جدًا» أو «مُهنَّأ على...».

التطويبات أو «التوجهات الجميلة» تعطي وصفًا عامًا لشخصية التلاميذ الذين يعيشون في الملكوت. وعندما نقرأها تتبين لنا الصورة التي يجب أن نكون عليها نتيجة لمُلك **الله** الشخصي في حياتنا. لو عشنا في خضوع كامل تحت المُلك الشخصي **لله**، فحتمًا سنتبنى هذه التوجهات.

المساكين بالروح:

تتبع التطويبات ترتيبًا محددًا ومهمًّا. يأتي أولاً تطويب المساكين بالروح القائل: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». تترتب التطويبات السبعة الأخرى وباقي الموعظة على هذا التوجُّه الأساسي الأول.

لا يمكن لأي شخص أن يصبح جزءًا من ملكوت **الله** إن لم يكن مسكينًا بالروح، حيث هذه هي الصفة الأساسية لكل مسيحي حقيقي. و كل الصفات المسيحية الأخرى ما هي إلا نتيجة لها.

عندما كان يسوع طفلاً، أخبر سمعان مريم ويوسف في (لوقا٢: ٣٤) أن الطفل «قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ». ومن هنا ظهر مبدأ مسيحي مهم وهو أن الصلب يأتي قبل القيامة، والسقوط قبل القيام، وأن الأفضل سوف يأتي للذين هم في المسيح.

«الروح المسكينة» هي نقطة الدخول إلى ملكوت **الله**. لكن كما يتبع القيام السقوط، ستأتي بهجة وفرح وثمار وميراث ومكافآت الملكوت لهؤلاء الذين هم مساكين بالروح حقًا، ولهم فقط.

ما معنى أن نكون مساكين بالروح؟

عندما نقرأ الموعظة على الجبل، تُقابِلنا عبارات مشهورة مثل:

- حوِّل له الخد الآخر أيضًا – (متى٥: ٣٩)
- لا تهتموا بالغد – (متى٦: ٣٤)
- أحبُّوا أعداءكم – (متى٥: ٤٤)
- من سألك فأعطه – (متى٥: ٤٢)

هذه ليست قواعد جديدة إن لم ننفذها نُطرد من الملكوت، كما أنها ليست مجموعة قواعد تشريعية يتسبب خرقها في العقاب. لكنها مثل الجبل الباهر الذي نتوق إلى تسلُّقه، لكن نعلم أن تسلُّقه يفوق كل قدراتنا.

تعبِّر الموعظة عن شيء لا مفر من كونه مستحيلاً. إذا قرأها أيّ منا، ثم حاول أن يعيش ما تعبِّر عنه بقوته الشخصية، فهذا يعني أنه لم يفهمها. وكما هو الحال مع الجبل الشاهق الرائع، هناك رد فعل واحد تجاه الموعظة: نظرة شوق وصرخة حارة من القلب: «إنني بحق أريد أن أحياها. لكني أعلم بعجزي. أَمَا من أحدٍ يساعدني؟»

من يصرخ بمثل هذه الكلمات بكل صدق وإخلاص هو حقًا مسكين بالروح وله ملكوت السماوات. أن نكون مساكين بالروح يعني أن ندرك أننا فقراء فقر مُدقَع ومُفلِسون تمامًا فيما يتعلق بعلاقتنا بـ**الله**.

تساعدنا النصوص التالية على فهم معنى «المساكين بالروح» بصورة أوضح:

- (أفسس٢: ١–١٠) (نعلم أننا أموات بالذنوب والخطايا).
- (متى٢٣: ٢٥–٢٨) (نعلم أننا مراءون ومنغمسون في ذواتنا).
- (إشعياء٦: ٥) (نعلم أن لدينا «شفاهًا نجسة»).
- (لوقا٥: ٨) (نعلم أننا خطاة في دواخلنا).

ليست فقرًا ماديًا

من الصعب أن نصف معنى أن يكون الشخص «مسكينًا بالروح». لكن الشخص الذي يعيش هكذا يكون واضحًا للعيان. من المهم أن نفهم أن المقصود هنا ليس الفقر المادي، حيث لم يقل يسوع إن الفقراء أو المساكين من النواحي المادية سعداء الحظ. لكن الفقراء في الغالب يعيشون «كمساكين بالروح» أكثر من الأغنياء. وربما هذا هو السبب وراء نمو الكنيسة في الدول الفقيرة عنها في الدول الغنية.

رأينا أن يسوع طلب من أتباعه أن يتركوا كل شيء ويتبعوه. وما لدى الفقراء ليتركوه أقل مما لدى الأغنياء. ربما يشرح هذا المبدأ الذي يتحدث عنه يسوع في (لوقا١٨: ٢٥).

ليست أمرًا شائعًا

«الروح المسكينة» ليست فكرة شائعة في العالم، فالمجلات والبرامج التلفزيونية اليوم لا تقدم نصائح تفيد كيف يكون الشخص مسكينًا بالروح. لكن العالم يروِّج مبادئ مثل الاعتماد على الذات، وتحقيق الذات، والتعبير عن الذات. ويمكن أن نقول هنا إن شعار العالم هو «طوبى للواثقين بأنفسهم لأن لهم الرخاء والانتشار».

يشجِّع العالم الشخص أن يؤمن بذاته. لكن المسكين بالروح يُنتظر منه سلوك مختلف:

- غياب تام للكبرياء.
- لا طموحات أنانية.
- لا ثقة زائدة بالنفس.
- لا اعتداد بالذات.

الشخص المسكين بالروح هو الشخص الذي يشعر ويدرك طوال الوقت أن لا شيء على الإطلاق يقابل الحقيقة المطلقة **لله**.

كان يسوع مسكينًا بالروح

ينطبق هذا الوصف على يسوع؛ لأنه لم يكن معتمدًا على قدرته الذاتية. نعلم أن يسوع أطعم الآلاف، وأسكت العواصف، وشفى المرضى، وأقام الموتى، وأخرج الشياطين، وعلَّم بسلطان عظيم. لكننا نعلم أيضًا أنه قال إنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا من ذاته. وهذا التصريح إما أن يكون كذبًا أو يكون أغرب حقيقة في الكون.

كان من الواضح أن يسوع يستطيع فعل كل شيء. لكنه كان يعلم تلك الحقيقة الأبدية المُطلَقة أنه بصفته الإنسانية المُجرَّدة لا يستطيع أن يفعل شيئًا على الإطلاق. كان يعلم أن عليه أن يعتمد على **الله** كلي القدرة وكلي المحبة إن أراد أن يذهب إلى مكان ما أو يفعل شيئًا ما أو يساعد شخصًا ما أو يحقق أمرًا ما.

كان التلاميذ مساكين بالروح

ينطبق هذا الوصف أيضًا على قادة الكنيسة الأوائل. لم يكن هؤلاء القادة

ضعفاء أو تنقصهم الشجاعة. كما لم يحاولوا التظاهر بأنهم مساكين بالروح بادِّعاء التواضع أو بالفخر بعجزهم.

لكنهم كانوا قريبين جدًا من الله؛ لذلك أدركوا أن القدرة الطبيعية والمؤهلات الرسمية والمركز العالمي والسلوك الحسن ما هي إلا كومة من الروث وعائق يحول دون سلوكهم الطريق الأفضل وهو الاعتماد على مُلك الله الشخصي.

يجب أن نكون مساكين بالروح

يجب أن ينطبق علينا هذا الوصف اليوم. المساكين بالروح هم تلاميذ لا يعتمدون على خلفياتهم، ولا يثقون في تعليمهم أو يعولون على ثرواتهم ومراكزهم. لكنهم يعلمون أن كل هذه الأشياء – مقارنة بالله – تكون فائدتها كفائدة مظلة هبوط مصنوعة من الأسمنت.

التلاميذ ليسوا مساكين بالروح لأنهم غير مؤهلين أو مقموعين، لكن لأنهم يقضون الوقت في التأمل في الله والنظر إليه وفي اتباع يسوع. وحينها يعرفون من هم مقارنة بهما.

بناءً على ما سبق، المساكين بالروح هم أصحاب الحظ السعيد لأن لهم ملكوت السماوات. توضح لنا (٢كورنثوس٦: ١٠ و٨: ٩) كيف تحل كل بركات الملكوت على من يعيشون طبقًا لهذا التوجُّه الأساسي وهو أن يكونوا مساكين بالروح.

الحِداد:

مثله مثل التوجُّه الأول، يوضح التوجُّه الثاني أن الصفات الأساسية للملكوت تختلف تمام الاختلاف عن صفات أو توجُّهات العالم المعتادة

اليوم. وتوجُّهات الملكوت هي توجُّهات عبثية من وجهة نظر المنطق البشري.

يتجنب المجتمعُ الحزنَ، وينظِّم العالم الحياة بطريقة تنأى بالناس بعيدًا عنه. على سبيل المثال، يشجِّع الناس بعضهم البعض على نسيان متاعبهم ووضعها خلف ظهورهم. وموضة العالم اليوم هي المراكز الترفيهية والضحك المُفتَعَل. لكن يسوع يخالف ذلك كله بقوله: «طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون».

يبدو أن الكنائس نفسها تأثرت بموقف العالم وتوجُّهه. لو أن يسوع زار اليوم جماعة كنسية ما وشجعهم على أن يحزنوا، سيصححه قادة الكنيسة ويخبرونه أن يفرح ويسعد ويبتسم ويسبِّح **الله**. لكن يسوع قال إن تلاميذه الذين يعيشون تحت مُلكه يتميزون بتوجُّه يقدِّر الحزن.

ما هو الحزن؟

كما أن التوجُّه الأول لم يتعلق بأمور مادية بل بأمور روحية في الأساس، يتعلق التوجُّه الثاني أيضًا بالحزن الروحي وليس بالحزن الطبيعي.

تشير كل التطويبات الثمانية إلى حالة روحية أو توجُّه روحي لا علاقة له بالأمور المادية. وهذا يعني أن الأشخاص أصحاب المدح الأكثر هم الأشخاص الذين يحزنون بالروح. إنهم التلاميذ أصحاب الحظ السعيد الذين ستتم مكافأتهم بالحصول على تعزية **الله** الشخصية.

يحزن كل واحد منا بالطبيعة في لحظات الحياة التعسة الكئيبة. لكن قليلون هم الذين يحزنون بالروح. وأقل هم الذين يتميز حزنهم بالعمق

ويماثل الطريقة التي حزن بها يسوع من أجل أورشليم والقادة الدينيين في أيامه، ومن أجل أقرب أحبائه إليه عندما تشاجروا فيما بينهم.

الذين يحزنون بالروح هم أولئك الذين يبكون مع **الله** على الأمور التي تحزنه. يصف بولس هذا الحزن في (٢كورنثوس٧: ١٠) بأنه «الحزن الذي بحسب مشيئة **الله**». يحزن هؤلاء من أجل أنفسهم ومن أجل إنسانيتهم الساقطة، ومن أجل الخير الذي يريدون أن يصنعوه ولا يقدرون، والشر الذي يريدون أن يمتنعوا عنه ولا يستطيعون. يعلم هؤلاء أنهم مثل البيضة المكسورة أو البيتزا منتهية الصلاحية. ومع ذلك هم ليسوا بلا فائدة. لكنهم فقط ليسوا على الصورة التي يجب أن يكونوا عليها. يتناول كل من (يعقوب٤: ٧–١٠) و(إشعياء٦١: ٥) هذا الأمر.

ما الأمور التي نحزن من أجلها؟

- يجب أن نحزن من أجل عدم رغبتنا في محبة أعدائنا، وفي الاستجابة لمن يسألنا، وفي تحويل الخد الآخر لمن يضربنا وهكذا. كما يجب أن نحزن من أجل عدم استحيائنا عندما نجمع الملابس والسيارات والأجهزة الإلكترونية بينما نتبع الذي قال لنا أن نبيع ما نملك ونعطي الفقراء. يجب أن نحزن لأننا نعلم أننا مثل ساعة روليكس مقلَّدة، مفيدة لكنها ليست في نفس جودة المنتج الأصلي.
- يجب أن نحزن من أجل كوكب **الله** الذي تلوث، ومن أجل الطمع البشري الذي يدمِّر الغابات ويسمِّم الجو ويبيع الأسلحة ويملأ الأنهار بالمخلفات و يخنق الناس بالعوادم.
- يجب أن نحزن من أجل الظلم الإنساني، من أجل الممارسات التجارية الآثمة وغير العادلة، من أجل المشرَّدين واللاجئين، من أجل الطريقة

التي يُعامَل بها من لم يولدوا بعد، ومن أجل الطريقة التي يُعامَل بها السجناء وكبار السن والمختلين عقليًا.

- يجب أن نحزن من أجل عدم الاستقرار الاجتماعي والانقسام الجماعي وحب النزعة المادية التي هي أصل كل الشرور. يجب أن نحزن من أجل فتور جيراننا نحو **الله** ومن أجل فتورنا نحن نحو مصيرهم الأبدي.

الحزن الذي نراه في (مزمور١١٩: ١٣٦) ليس حزنًا مَرَضيًّا أو كاذبًا. لكنه حزن محرِّر مُلهِم يحثنا على العمل الاجتماعي الممتلئ من الروح والموجَّه من قِبَل **الله**. إنه أكثر التقديرات دقة وصدقًا لكينونتنا كأشخاص وللعالم الذي نعيش فيه. إنه الفكر المسيحي الصحيح. إنه توبة (metanoia) صادقة.

مكافأة الحزانى

يَعِد يسوع التلاميذ الذين يحزنون الآن بأنهم سيتعزون يومًا ما، لذلك هم سعداء الحظ. لو حزِنَّا مع **الله** اليوم، فسيعزينا المُعزِّي غدًا.

لن يعزي **الله** الكثير من التلاميذ في السماء. يختلق البعض تعزية خاصة بهم على الأرض يحصلون منها على فرح مزيَّف ونصرة توحي لهم بالسعادة. والبعض الآخر يختار تعزية المداهنة أو الهروب. كما أن جماعة قليلة لن تتعزى لأنهم مشغولون لدرجة تجعلهم لا يحزنون أو حتى يتعلموا كيف يحزنون.

لكن يا لسعادة هؤلاء الذين يحزنون بالروح؛ لأن **الله** نفسه هو الذي سيعزيهم. نقرأ في (إشعياء١٢: ١–٦) و(مزمور٣٠: ٥ و٣٢: ١–٢) و(رومية٤: ٧–٨) أن حزننا الذي بحسب مشيئة **الله** سينتهي بفرح حسب مشيئة **الله**.

الوداعة:

تنشب الحروب كل يوم؛ حيث تحاول بعض الأمم والشعوب فرض سيطرتها على جزء ما من الأرض. يعتقد الكثيرون أن «القوة» ستتغلب على «الحق» في النهاية. لكن يسوع له رأي آخر.

يقول التوجُّه الثالث من توجُّهات الملكوت: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ». السيطرة على العالم، السلطة العالمية، امتلاك هذا الكوكب – كل هذا سيُعطَى لا للأقوياء والأغنياء لكن للودعاء.

ربما يبدو هذا أمر عبثي؛ حيث إنه عكس المألوف في الفكر العالمي. يؤكِّد يسوع هنا أيضًا كم نحتاج إلى ثورة فكرية كي نعيش في الملكوت. إن أفكاره مختلفة تمامًا عن أفكار المجتمع الحديث.

تتفق الكثير من الكنائس مع العالم في الفكر؛ حيث تسعى نحو الاتساع والقوة كي تكون لها السيطرة على جزء كبير من العالم. تسعى هذه الكنائس أن يكون صوتها مسموعًا في الإعلام. كما تُجزِم برغبتها في القوة عندما تطلب من **الله** أن يعطيها إياها. لكنه يرد على الذين يطلبون منه القوة بقوله: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ».

ترتيب توجُّهات الملكوت

تتبع التوجُّهات الثمانية التي يتحدث عنها يسوع في الموعظة على الجبل ترتيبًا منطقيًا. يبدأ المساكين بالروح في الحزن عندما يدركون مدى ضعفهم وسقوطهم. يؤدي هذا الإدراك تلقائيًا إلى الوادعة.

يتطلب التوجُّه الأول منا أن نعترف بضعفنا وعدم قدرتنا. و يتطلب الثاني

أن ندرك أننا مساكين بالروح، وأن علينا أن نحزن لذلك. أما الثالث – أي الوداعة – فيأخذنا أكثر نحو الله، نحو النقطة التي نتوقف فيها عن التفكير في أنفسنا ونبدأ في الاهتمام بالآخرين.

ليست لدى الكثيرين منا مشكلة في لوم وانتقاد أنفسهم، لكننا لا نقبل أبدًا أن ينتقدنا الآخرون. يساعد التوجُّهان الأول والثاني تلاميذ يسوع على اختبار وتقييم أنفسهم بصدق. أما التلاميذ الودعاء فيأخذون خطوة إلى الأمام بالسماح للآخرين أن يختبروهم ويقيِّموهم.

ما هي الوداعة؟

توضح رسالة (فيلبي٢: ٥–١١) أن يسوع لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه اختار أن يتخلَّى عن هذا المجد، ويحيا كعبد بدلاً من ذلك. هذا هو توجُّه الوداعة الذي يجب على تلاميذ يسوع اتباعه أمام الله وأمام الآخرين.

- تتضمن الوداعة أمام الله: الشكر والتكريس والقناعة والخضوع لشخصه.
- تتضمن الوداعة أمام الآخرين: الرقة والمساعدة على التعلُّم والمغفرة.

نرى هذه الحقيقة في (فيلبي٤: ٥) و(غلاطية٦: ١) و(متى١١: ٢٨–٣٠) و(إشعياء٥٠: ٤–٥) و(١كورنثوس١٣: ٥) و(رومية١٢: ١٧–٢١) و(١بطرس٢: ٢٣).

يتميز الودعاء بالصبر، ولا يمانعون التجاهل والنقد من قِبَل الآخرين، بل يعطونهم الأولوية. كما يستسلمون لهم ولا يطالبون بشيء لأنفسهم في حين يعطونهم الحق في المطالبة بما يريدون.

الودعاء ليسوا ضعفاء، لكنهم أقوياء يتصرفون برقة. إنهم ليسوا حمقى يُخدَعون بسهولة، لكنهم حكماء تتميَّز ردودهم بالتواضع. إنهم ليسوا جبناء يخافون من الحديث بمجاهرة، لكنهم مفوهون يتحدثون بحكمة وحذر.

إنهم ليسوا كالأشخاص العاديين الذين يطالبون بتنفيذ إرادتهم، لكنهم خاصة المسيح ودائمًا يعملون حسب طرق **الله** التي نراها في (أعمال٨: ٣٢) و(يوحنا١٣: ٥) و(لوقا١٠: ٣) و(متى١٦: ٢٤).

لا يقلق الودعاء بشأن أنفسهم أو بشأن ما يقوله الآخرون عنهم؛ لأنهم يعلمون أنه لا يوجد شيء يستحق أن يدافعوا عنه. لا يضيِّع الودعاء الوقت في الرثاء لأنفسهم؛ لأنهم انتهوا مع أنفسهم وبالتالي لا يتمتعون بأي حق كان. ولأنهم مساكين بالروح، لا يقدر أحد أن يصنع بهم أمرًا سيئًا أو يوجه لهم كلمات سيئة. وهم يعلمون أنهم يستحقون هذه الحماية بل وأكثر.

التلاميذ الودعاء عن حق يذهلون عندما يعلمون أن **الله** والآخرين يفكرون بهم كما يفعلون. هذه الوداعة التي لا غِنَى عنها هي التي تمكِّننا من أن نرى ونقبل ما نحن عليه في المسيح.

مكافأة الوداعة

يَعِد يسوع أن الودعاء سيرثون الأرض. بالنظر إلى أمور الملكوت التي هي «الآن»، فقد تحقق هذا الوعد جزئيًا؛ حيث إن الودعاء يعيشون بالرضا والقناعة. كما يستمتعون بالأشياء دون أن يمتلكونها. لقد ورثوا الأرض من حيث كونهم الوحيدين الذين يستمتعون بها دون الرغبة في امتلاكها أو السيطرة عليها.

لكن الوعد يرتبط أيضًا بأمور الملكوت التي «ليست بعد». كما نرى في (لوقا١٤: ١١) و(رومية٨: ١٧) و(١كورنثوس٢: ٩) و(٢كورنثوس٦: ١٠) و(رؤيا٢١: ٧) سيرتفع المتَّضِعون، وسيكون الأخير أولاً، والمصلوب سيقوم، والودعاء سيرثون الأرض. هذا الأمر إما خداع، أو حقيقة مدهشة.

الجياع إلى البر:

تعكس التوجُّهات الأربعة الأولى الإفلاس الروحي، والإحساس الغامر بعدم القدرة الذي يشعر به التلاميذ الحقيقيون. الذين يعيشون تحت ملك **الله** الشخصي هم مساكين بالروح، حزانى، ودعاء أمام **الله** والناس. ويرينا التوجُّه الرابع أنهم جياع يحتاجون إلى الشبع: «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ».

السعي وراء السعادة

يتطلع العالم إلى السعادة (makarios)، إلى الابتسامات العريضة والحظ السعيد. يمتلئ العالم بأناس يبحثون عن السعادة، لكنهم يبحثون في المكان الخاطئ بالطريقة الخاطئة.

يوضح (إرميا٢: ١٣) أن البشر ارتكبوا شرين: أولاً، تركوا **الله** مصدر الحياة وينبوع الماء الحي. وثانيًا، نقروا لأنفسهم آبارًا ليحصلوا منها على الماء. لكن هذه الآبار مُشقَّقة لا تضبط ماءً.

إن **الله** هو مصدر الحياة والمحبة والفرح والرضا والقناعة. لقد خُلقنا به وله، ولا نعرف السعادة الحقيقية إلا فيه، وبالاعتماد على الماء الحي الذي يعطيه. لكننا رفضناه، وحاولنا أن نُوجِد لأنفسنا مصادر بديلة للسعادة. يعتقد العالم أنه سيصل للسعادة إن وضعها على قائمة أولوياته، لكن يسوع يقول إن السعادة تأتي نتيجةً لطلب بر **الله**.

جياع وعطاش

يتحدث التطويب الرابع عن تلاميذ جياع وعطاش. قليلون من مسيحيِّ الغرب اختبروا الجوع والعطش الفعلي. ربما تفوتنا وجبة ما، فنشعر ببعض

التذمُّر. أو ربما نحتاج شرابًا باردًا في يوم حار فنضطر للسير ميلاً إلى مقهى للحصول عليه. إن حياة الراحة التي نحياها جعلتنا نفقد معنى كلمتي «الجوع» و«العطش» ونقلل من شأنهما.

يستخدم يسوع هاتين الكلمتين ليصف حالةً من الاحتياج الكامل، وعلى تلاميذه أن يتميزوا بالانشغال التام بهذا الاحتياج. هناك أمر واحد هو المهم وباقي الأشياء كلها تأتي في المرتبة الثانية. يعرف التلاميذ أنهم جياع وهم في احتياج شديد للشبع. أن يكون الشخص جائعًا وعطشانًا لأمر ما، يعني أن يجعل هذا الأمر أولويته القصوى وهدفه في الحياة. كما يجب عليه أن يثابر حتى يحصل عليه.

ما هو البر؟

التلاميذ الحقيقيون الذين يشاركون يسوع في توجُّهاته هم جياع للبر بالطريقة التي يصفها (مزمور٢٧: ٤). الكلمة المستخدمة هنا بمعنى بر هي «dikaiosune» وهي كلمة تصف حالة «الاستقامة مع الله». تظهر هذه الكلمة كثيرًا في بشارة متى. نفهم من (متى٦: ٣٣) أن البر هو صفة مركزية للملكوت.

ترد كلمة «البر» في بشارة متى كمرادف «للأعمال الصالحة». في (متى٥: ١٦) على سبيل المثال، تأتي «الأعمال الحسنة» بمعنى «أعمال البر» التي يؤكد عليها يسوع في كل التطويبات. هذا يعني أن «البر» في بشارة متى يشير إلى السلوك الأخلاقي الذي يطلبه الله من تلاميذه. يجب ألا نخلط بين البر في بشارة متى، والبر الذي يتحدث عنه بولس، والذي هو عطية من عطايا النعمة، والذي يستطيع الشخص من خلاله أن تكون له علاقة صحيحة مع الله. نحتاج بالطبع أن نختبر كلا المعنيين. إننا أبرار بسبب الإيمان الذي هو عطية الله المجانية. ونحن أيضًا أبرار في توجُّهاتنا وأعمالنا.

أن نكون أبرارًا يعني أن «نلتزم بملك **الله** أو مشيئته المُعلَنة» – نرى هذا المعنى في (متى٣: ١٥ و٥: ٦، ١٠، ٢٠ و٢١: ٣٢) و(يوحنا١٦: ٨، ١٠) و(رومية٦: ١٢–٢٣) و(أفسس٦: ١٤) و(يعقوب١: ٢٠ و٣: ١٨). أن نكون جياعًا للبر وعطاشًا إلى الالتزام بمشيئة **الله** يعني أننا نريد أن نرضي **الله** بأن نعيش تحت ملكه وأن نعمل أعمالاً حسنة.

متى نشبع؟

يَعِد يسوع أن الجياع والعطاش إلى البر سيشبعون. لم يحدد يسوع ما الذي سيشبعون به. لكنهم بالتأكيد سيشبعون ببر **الله**. تشرح التطويبات الأربعة التالية هذا المعنى بالتفصيل.

كذلك لم يقل يسوع متى سيشبعون – فيما عدا أننا نعلم أن الشبع يأتي بعد الشعور بالجوع والعطش. لكن العهد الجديد يوضِّح أن التوتر بين أمور «الآن» و «ليس بعد» يظهر هنا ثانية:

- تتحدث (رومية٥: ١) عن عطية البر التي يكون بها لنا سلام مع **الله**. وهي العطية التي أخذها كل تلميذ والتي تعمل في حياتنا.
- تصف (٢كورنثوس٣: ٩–١٨) ازديادًا مستمرًّا للبر.
- يتطلع (٢بطرس٣: ١٣) إلى سماء جديدة وأرض جديدة ليس فيهما سوى البر.

الرحماء:

التطويب الخامس هو مرحلة جديدة في تطور الشخصية التي تشبه المسيح حقًا. ركزت التطويبات الأربعة الأولى على احتياجات مُلحَّة. والآن يظهر مع التطويب الخامس الجانب الإيجابي في الشخصية: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ». التلاميذ الذين يعيشون تحت حكم **الله** الشخصي يتَّصفون حتمًا بالرحمة.

تتأسس التطويبات الأربعة الأخيرة على الأربعة الأولى. إنها في الواقع نتائج مباشِرة لها. كما أنها تعكس الصفات التي تنمو في هؤلاء التلاميذ الذين ينظرون إلى أنفسهم بعين الصدق، ويعرفون أساس علاقتهم مع **الله**.

يهتم يسوع دائمًا بتوجُّهات أتباعه أكثر من اهتمامه بأفعالهم وأفكارهم وسلوكهم. لذلك، بدلاً من أن يمدح الذين يعملون أعمال رحمة، هنَّأ الممتلئين رحمة. لقد حصل هؤلاء على الامتلاء والشبع في نهاية التطويب السابق، وهنا يتَّضح لنا ما الذي شبعوا وامتلأوا به.

«الأفعال» في الملكوت تنبع من «الكيان»؛ أي أن أفعالنا تعبِّر عن من نحن وتعبِّر عن توجُّهاتنا الداخلية. يجب أن تعكس حياة التلاميذ الرحمة، حيث لا يمكن لأي شخص أن يصبح تلميذًا دون أن يختبر رحمة **الله**.

ما هي الرحمة؟

الرحمة ليست توجُّهًا يتميز بالتساهل في كل الأمور ويقول إن القانون لا يهم، تاركًا كل شخص يفعل ما يحلو له. الرحمة التي وصفها يسوع هي عكس ذلك كله؛ حيث إنها توجد في هؤلاء الأشخاص الممتلئين من الحياة المستقيمة بحسب **الله**. ولا تكون الرحمة ذات مصداقية إلا إذا جاءت في سياق الجوع إلى مقاييس **الله** السامية وإلى حياة يسوع الكاملة.

يبدو أن معظم المؤمنين يتوقفون عند التطويب الرابع. يعرف هؤلاء أن **الله** عادل وقدوس، كما يعرفون مقاييسه السامية ويجوعون إليها؛ لكنهم مع ذلك يتَّصفون بالإدانة لا بالرحمة. ربما تعكس حياتهم بر **الله**، لكنها لا تعكس رحمته. وبالتالي، يعطون للعالم صورةً خاطئةً عن **الله**. توضِّح

(رسالة أفسس٢: ٤) أن الله غني في الرحمة؛ علينا إذًا أن نعكس هذه الحقيقة في توجُّهاتنا وأفعالنا.

الرحمة هي مثل النعمة؛ فهي تصف الطريقة المجانية التي يعطي بها الله كل شيء لأناس لا يستحقون شيئًا دون شروط أو قيود. تصل النعمة إلى الناس في خطيتهم، وتصل إليهم الرحمة في معاناتهم. النعمة هي الكلمة التي تمثل جواب الله عن الخطية البشرية ككل. أما الرحمة، فهي الكلمة التي تمثِّل الطريقة التي يتعامل بها مع الناس في معاناتهم الناتجة عن الخطية.

الرحمة هي الشفقة العملية التي نشعر بها تجاه معاناة شخص ما مضافًا إليها الرغبة والتصميم والفعل لإنهاء هذه المعاناة. إنها عاطفة مختلطة بفعل. إنها ما نقرأ عنها في (لوقا١٠: ٢٥–٣٧) و(مرقس١: ٤٠).

يتميز كثيرون من الناس العاديين بامتلاك مثل هذا الشعور نحو المحتاجين، لكن رحمة يسوع تتعدَّى هذا الحد بكثير؛ لأن المعاناة التي يُشفِق عليها ويحاول أن يزيلها تتضمَّن أشياءً يتوق الأشخاص العاديون إليها: شقاء النزعة المادية والغِنَى الزائد والسلطة والطمع وأشياء أخرى كثيرة هي نتائج الأنانية والخطية.

يُرْحَمُونَ

الله هو المثال الوحيد المقبول؛ فلقد أعطى للبشرية هذا الكوكب، لكننا خرَّبناه. لقد أعطانا الحرية كي نحبه، لكننا رفضناه. وأرسل لنا ابنه كي يرينا محبته، لكننا صلبناه. يرى الله معاناتنا وشقاءَنا وتطلُّعاتنا وحبنا للامتلاك. إنه يسمع كذبنا ويرى كبرياءَنا وثقتنا في حكمة كاذبة. وهو يجيب عن كل هذه الأمور بغِنَى النعمة والرحمة الفائق.

الأشخاص أصحاب الحظ السعيد الذين يمدحهم يسوع هنا هم هؤلاء الذين أدركوا الحالة التي هم عليها بالفعل. إنهم المساكين بالروح الذين يعطيهم ملكوته. إنهم الحزانى الذين يعزِّيهم. إنهم الودعاء الذين يَعِدهم أن يرثوا الأرض. إنهم الجياع والعطاش إلى الحياة المستقيمة بحسب مشيئته والذين سيشبعهم حتى يمتلئون عن آخرهم.

إن اختباراتنا الماضية والحاضرة لرحمة **الله** في حياتنا تؤثر بكل تأكيد على مواقفنا تجاه الآخرين. كما أن إدراكنا لأخطائنا وسقطاتنا الشخصية سيشجعنا بكل تأكيد على أن نكون رحماء تجاه من يُعانون بسبب ضعف إنساني كالذي فينا.

سنمتلئ بالرحمة تجاه الآخرين عندما نعرف كم إننا مدينون إلى الأبد لرحمة **الله**، وعندما ندرك حقيقة أننا ما نحن عليه بسبب نعمة **الله** اللامتناهية.

اختبار مستقبلي

على الرغم من أننا جميعًا اختبرنا رحمة **الله**، إلا أن وعد يسوع بالرحمة هو للمستقبل. يوضِّح هذا أن توجُّه الرحمة ليس شرطًا للخلاص، لكنه دليل على التلمذة الحقيقية.

هذه الصفة المُستمدَّة من شخص المسيح – مثلها مثل صفات أخرى كثيرة– تجلب لنا بركات **الله**، كما ستُكافَأ في اليوم الأخير. إذا رفضنا التحلي بها، لن نفقد خلاصنا، لكننا سنجلب استياء أبينا السماوي.

أنقياء القلب:

يبدو لنا التطويب السادس من النظرة الأولى في غير مكانه. «طُوبَى

لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ». إن هذا وعد رائع عظيم كان يجب أن يكون إما على رأس القائمة أو في نهايتها. لكن التطويبات مرتَّبة ترتيب منطقي. وكل منها يأتي مترتبًا على الآخر وأصعب قليلاً مما سبقه. وعلينا أن نواصل التقدم فيها جميعًا بثبات حتى نصل إلى قلب الله.

الكثير من التلاميذ المساكين بالروح الذين يعرفون أنهم لا شيء مقارنةً بيسوع، يواصلون التقدم ويحزنون من أجل سقطاتهم. والبعض منهم –الذين يحزنون من أجل أسوأ ما فيهم– يصبحون ودعاء مع الآخرين، ويقبلون أن ينتقدهم الآخرون. لا يتقبل بعض من هؤلاء الودعاء ضعفاتهم وسقطاتهم. لذلك يواصلون التقدم فيجوعون ويعطشون للبر. كما يصبح بعض التلاميذ الذين تذوقوا نعمة الله ورحمته رحماء تجاه الآخرين. وبعض من هؤلاء الممتلئين رحمة يواصلون تحت حكم الله فيصبحون أنقياء القلب.

مثله مثل التطويبات الأخرى، يوضح هذا التطويب أن الله يهتم بالأمور الداخلية أكثر من اهتمامه بالأمور الخارجية الظاهرة. لم يمدح يسوع أنقياء السلوك؛ لأنه يهتم بالشخصية أكثر مما يهتم بالسلوك، كما لم يمدح نقاء العقيدة. ربما تدفعنا دعوة الملكوت والتطويبات الخمسة الأولى أن نتوقع أن يمدح يسوع «أنقياء الفكر». لكن يسوع قال إن أنقياء القلب هم سعداء الحظ لأنهم سيرون الله.

ما هو نقاء القلب؟

في أيام يسوع، كان القلب صورةً لمقر الشخصية الإنسانية، ومركزًا للكيان الشخصي والأنا الداخلية غير المرئية المذكورة في (١صموئيل١٦: ٧) و(١بطرس٣: ٤). يشير يسوع إلى تلاميذ أنقياء في فكرهم ومشاعرهم ورغباتهم، إلى تلاميذ أنقياء في مركز وجودهم، في بؤرة مصدر توجُّهاتهم ومشاعرهم.

إن إحدى رسائل الكتاب المركزية هي «ليكن قلبك مستقيمًا». نرى هذه الرسالة في (أمثال٤: ٢٣) و(متى١٥: ٨). تعني هذه الرسالة شيئين:

- أن نُغسل وننظَّف تمامًا ونصبح غير ملوَّثين وغير دنسين.
- ألا يكون لدينا ما نخفيه، وأن نكون واضحين تمامًا وصادقين، مستقيمي الفكر، ذوي هدف مفرد يستقطب كل قوانا.

رؤية الله

كما هو الحال مع بقية الوعود، هذا الوعد غامض إلى حدٍّ ما. لم يوضح يسوع كيف وأين ومتى سيرى أنقياء القلب **الله**، لقد قال فقط إنهم سيرونه. نرى هذا الوعد في (١تيموثاوس١: ١٧، ٦: ١٦)، (١كورنثوس١٣: ١٢)، (١يوحنا٣: ٢).

ومرة أخرى نرى أن تحقق هذا الوعد يرتبط بـ «الآن» وبـ «فيما بعد». لقد رأى التلاميذ **الله** بالطريقة التي رآه الجميع بها؛ فلقد رأى الجميع **الله** في الخليقة وفي أناس آخرين وفيما يجري من أحداث وفي المؤمنين والعبادة والكتاب المقدس وفيما يحدث حولنا كل يوم. كل هذا هو جزء من رؤيتنا **لله**، لكنه لا يُقارَن أبدًا برؤية أنقياء القلب له في المستقبل.

عندما يكون لدينا موعد لمقابلة شخص مهم، فإننا ننظف أنفسنا جيدًا ونرتدي ملابسنا بعناية ونجهِّز ما سنقوله من كلمات. وعندما نفهم أن لدينا فرصة لكي نرى **الله**، يضيع بريق وأهمية كل شيء آخر في الحياة. عندما نفهم أن لدينا فرصة لرؤية ملك الملوك، سنبذل قصارى جهدنا كي نحصل عليها.

أنقياء القلب فقط هم الذين سيعاينون **الله**، لكن لا يستطيع أحد أن يجعل

قلبه نقيًا. يمكننا فقط أن نمنع النقاء عنه، ونعطِّل عملية تنقيته. إن نقاء القلب هو عمل الله.

- يطالب الله بنقاء كامل (مزمور٢٤: ٤)، (عبرانيين١٢: ١٤) و(رؤيا٢١: ٢٧).
- يعطي الله النقاء الداخلي (١يوحنا١: ٧)، (حزقيال٣٦: ٢٥–٢٧)، (عبرانيين١٠: ٢٢)، (١كورنثوس٦: ١١).

لكننا نفهم من (رومية٨: ٥) و(مزمور٨٦: ١١) و(٢كورنثوس٦: ١٧–٧: ١) و(أفسس٥: ٣–١٠) أنه يجب علينا أن نتحلى برغبة قلبية صادقة نحو الله. علينا أن نرغب في الخضوع لمُلك الله ولاتباع توجُّهاته، وأن نرغب في أن نكون مثل يسوع.

صانعو السلام:

حب السيطرة والسلطة والتحكم في الآخرين هو واحد من النزعات التي تميز الطبيعة الإنسانية الساقطة، لكن هذا ليس طريق يسوع. لم يمدح يسوع المحاربين والحكام والأقوياء والقادة، لكنه قال: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ».

التلاميذ المساكين بالروح هم فقط الذين لهم الدخول الكامل لملكوت الله. قليلون يصيبهم العجز عندما يدركون كم هم مساكين، بينما تتقدم البقية في النمو الروحي فيحزنون على ضعفاتهم وسقطاتهم. ينتهي بعض الذين يبدأون بالحزن بالعويل والندب، والبعض الآخر يستمر حتى يصل إلى الوداعة، يضعف واحد أو اثنان من الودعاء ويقفان مكانهما في سلبية. لكن أغلبهم يستمرون في التقدم الروحي فيصلون إلى مرحلة الجوع والعطش إلى الله.

للأسف، يصبح بعض الذين يتذوقون بر الله قساة، لكن الآخرين يمتلئون

بالرحمة. يَقنَع بعض التلاميذ الرحماء باحتلال المرتبة الثانية، لكن بعضهم يتقدم حتى يحتل مكانة أنقياء القلب. قليلون من أنقياء القلب ينعزلون عن العالم. لكن **الله** يريدنا أن نتقدم حتى نصل إلى مرحلة تكون توجُّهاتنا فيها هي أفعالنا، وشخصيتنا تنعكس في سلوكنا، ويكون لامتلائنا **بالله** نتائج عملية قوية تعكس تشبُّهنا بالمسيح.

من المهم أن نفهم أننا نستطيع تحقيق كل التقدم من خلال اتباع كل التوجُّهات. ينزلق بعض المؤمنين أحيانًا في حياتهم الروحية، لكن هذا لا يعني أن الركود الروحي محتم علينا جميعًا. يدعونا يسوع أن نتبعه، وهو يعطينا كل ما نحتاج إليه كي نتبعه حتى نصل إلى ملكوته الرائع. يمكننا جميعًا أن نصل إلى النقطة التي نمتلئ فيها بتوجُّهاته. لذا علينا الاستمرار في السير في طريق **الله** حتى لو كان ضيِّقًا وصعبًا.

توضح هذه التوجُّهات الجميلة أن الأشخاص الممتلئين **بالله** يملكون ثلاث صفات إيجابية هي الرحمة والنقاء وصنع السلام. هذه هي العناصر الثلاثة التي يتكون منها التلاميذ الخاضعون لمُلك **الله**.

وكما تتدرج التوجُّهات في الصعوبة، تتدرج الوعود كذلك في الروعة. التلاميذ الذين يصنعون السلام يُدعَون «**أبناء الله**». إنهم ليسوا فقط تابعين أو مشاهدين أو أعضاء أو مواطنين أو خدام أو شركاء أو تلاميذ – لكنهم أيضًا أبناء. إن لهم هوية جديدة تتناسب مع طبيعتهم، وعلاقة جديدة تتماشى مع توجُّهاتهم.

ما معنى صنع السلام؟

صانعو السلام لا يختلقون المشاكل أو النزاعات، ولا ينحرفون عن طريقهم

كي يصنعوا الاضطرابات. كما لا يهتمون بأنفسهم، بل يتركون طريقهم، متحمِّلين كلفة عالية كي يجمعوا الناس معًا في علاقة يملأها السلام القائم على عدالة الله.

صانعو السلام ليسوا شديدي الحساسية، ولا يتبنون موقفًا دفاعيًا؛ فهم لا ينظرون إلى المواقف ويسألون أنفسهم كيف تؤثر عليهم أو على جماعتهم. لكنهم أنقياء وودعاء ومتواضعون. هم أموات فيما يتعلق بأنفسهم ومصالحهم الشخصية. وعندما يقيِّمون موقفًا ما، يسألون أنفسهم كيف سيؤثر هذا الموقف على الآخرين.

على صانعي السلام أن يحزنوا أولاً ويكونوا رحماء، وعندما ينظرون إلى الأشخاص الضائعين في غضبهم ومرارة أنفسهم، يدركون أنهم ضحايا الأنانية والخطية. ويدركون أنهم أشخاص يتوجهون نحو الجحيم، مما يزيد من حزنهم ورحمتهم، ومن ثم يفعلون شيئًا.

صانعو السلام أناس يتميزون بالعملية، ينفذون بقية المبادئ التي تنص عليها الموعظة على الجبل.

- يضعون المصالحة على قائمة أولوياتهم.
- يمشون ميلاً آخر.
- يحوِّلون الخد الآخر.
- يحبون أعداءهم.
- يعطون كل من يسألهم.
- لا يصنعون الصدقات أمام الناس ولا يُظهِرون برهم علانيةً.
- يخدمون الله لا المال.
- يضعون قلوبهم على ملكوت الله.

- لا يدينون الآخرين.
- لا يقلقون.

نستطيع القول بأن بقية الموعظة على الجبل هي وصف مطول لصانعي السلام الذين يتميزون بالعملية. تقوم بقية الموعظة على هذه التوجُّهات الرائعة وتوضح نتائج الخضوع لمُلك **الله** والحياة في ملكوته.

رأينا من البداية أن أقوال يسوع في الموعظة صعبة التنفيذ بالمجهود الشخصي. وأما الآن، فنرى أنها النتائج الطبيعية لاتباع المسيح وللتقدم من كوننا مساكين بالروح، حتى الوصول إلى مرحلة صانعي السلام.

أبناء الله

إن التلاميذ الذين يجعلون صنع السلام الأبدي الأرضي أولويتهم في الحياة، يعلنهم **الله** أبناءً له. لذلك، ليست الوعود الكتابية بالمكافآت السماوية للذين يُخرِجون الشياطين، بل للذين يستضيفون الغرباء، ويُطعِمون الجوعى ويأوون المشرَّدين.

أن تكون ابنًا **لله** يعني أن تكون أخًا أو أختًا ليسوع. لقد عكست حياة يسوع كل التوجُّهات الثمانية. لكن أولوياته العُظمَى كانت صنع السلام – السلام بين **الله** والناس وبين الناس بعضهم البعض. إنه «رئيس السلام» – أعظم صانعي السلام. وعلى كل الذين يتبعونه أن يتمثلوا به.

المطرودون:

أوضحت التطويبات السبعة الأولى أن نظرة الملكوت مختلفة تمامًا

عن نظرة المجتمع الحديث. والتطويب الثامن هو مفاجأة أكبر: «طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ».

نشعر اليوم بالأسف من أجل المضطهدين، ونحاول أن نساندهم، ونقوم بحملات من أجلهم. أحيانًا نُعجَب بهم، لكننا لا نحسدهم أو نعتقد أنهم سعداء الحظ عندما يُطرَدون من أجل البر كما قال يسوع عنهم.

تصف التطويبات السبعة الأولى التلاميذ الذين يخضعون لمُلك **الله**. والتطويب الأخير هو نتيجة حتمية لهم جميعًا، وليس منفصلاً عنهم، لكنه شهادة عن التبعية الحقيقية ليسوع.

لن يأتي العالم إلى المسيحية بناءً على التوجُّهات التي تحدثنا عنها، فالحزن والرحمة والنقاء ليست أفكارًا تجذب انتباه عقول الناس في أيامنا هذه. وبالطبع لن تجذبهم فكرة الطرد والاضطهاد. ما يقوله يسوع هو إن اتباع مثل هذه التوجُّهات سيؤدي حتمًا إلى الطرد والاضطهاد. وهذه الحقيقة تمنع الكثيرين من أن يصبحوا تلاميذ للمسيح طوال حياتهم. لكن يسوع يخبرنا دائمًا بالحقيقة الكلية، ثم يترك لنا حرية اختيار تبعيته بالسير ورائه في طريقه الضيق.

المكافأة

إن الوعد الذي يعطيه يسوع للمضطَهَدين هو نفس الوعد الذي يعطيه للمساكين بالروح. يبدأ يسوع وينتهي بنفس الوعد؛ ليوضح أن التعمُّق في ملكوته السماوي هو أهم مكافأة على الإطلاق.

كثيرًا ما فرح التلاميذ بتهليل الجموع، لكن يسوع أخبرهم في

(لوقا١٠: ١٧–٢٠) ألاَّ يفرحوا بهذه الأمور. بل يفرحوا بالحري لأن أسماءَهم كُتبت في السماوات.

ينطبق نفس الأمر هنا على الذين أخذوا وعدًا بالأرض وبتعزية **الله** وبالشبع من قِبَله وبرؤيته وبإعلانه إياهم أبناء له، أن يتذكروا أن كل هذه الأشياء الرائعة ليست في أهمية التعمُّق في ملكوت **الله** الذي يمثِّل بداية ونهاية التلمذة الحقيقية.

من أجل البر

لم يقدم يسوع وعودًا بمكافآت عظيمة للمطرودين؛ لم يقدم وعودًا للمطرودين من أجل تصرفاتهم غير المقبولة أو سلوكهم الاعتراضي أو من أجل اتجاهاتهم السياسية والإمبريالية. كما لم يمدح المتعصِّبين أو الذين يقعون في مشاكل بسبب حماقتهم في اختيار الطريقة التي يشهدون بها عن إيمانهم.

لقد خص يسوع المطرودين من أجل البر بحديثه، وقال إنهم فقط من لهم ملكوته ولهم المكافآت العظيمة في السماء. تتضح هذه الحقيقة في (متى٥: ١١–١٢). أن يُطرَد الشخص من أجل البر يعني أن يعاني لكونه مثل يسوع. أن يتبع الشخص توجُّهات الملكوت يعني أنه مثل يسوع وأنه يُطرَد ويُضطَهَد لما هو عليه.

الطرد والاضطهاد هما نتيجة حتمية لكون الشخص مثل يسوع؛ لذلك أوصى يسوع تلاميذه أن يحملوا صليبهم كل يوم – أي أن يعرفوا أن المجتمع سيكرههم وأن يستعدوا للمعاناة وخيبة الأمل والموت. لكن عليهم أن يحسبوا أنفسهم سعداء الحظ؛ لأن الملكوت في انتظارهم. نقرأ عن هذه

الحقيقة في (يوحنا١٥: ١٨–٢١) و(لوقا٦: ٢٦) و(١بطرس٢: ١٩–٢٣) و(٢تيموثاوس٣: ١٢).

المعارضة

يعتقد كثيرون من المسيحيين أن الإيمان المسيحي جذاب للغاية، وأن أصدقاءَهم سيتحولون إلى المسيحية إن اختبروا العبادة الحقيقية أو رأوا معجزة حقيقية أو قابلوا مسيحيًّا حقيقيًّا. لكن هؤلاء لا يفهمون حقيقة هذا التوجُّه الثامن من التطويبات.

إن المسيحية الحقيقية بغيضة جدًا بالنسبة للأشخاص العاديين، وأتباع يسوع الخاضعون لملكه سيُضطَهَدون دائمًا؛ لأن هناك شيئًا مختلفًا في يسوع وفيهم يزعج الذين لا يعرفونه.

تعاليمه غير عادية وتوجُّهاته تثبت وجود الفضيلة في أفكار يحتقرها المجتمع. الدرس الذي يعلمنا التاريخ إياه هو أن أصدقاءَنا غير المؤمنين لن يقبلوا الإيمان الحقيقي بمجرد أن يرونه. سيضطهده بعض منهم كما اضطهد أسلافهم السيد المسيح والأنبياء من قبله.

إن الشخص الذي يعيش حقًا بحسب توجُّهات التطويبات السبعة الأولى، سيختبر –بكل تأكيد– توجُّه التطويب الثامن. وسيجد نفسه مثل يسوع الذي لم يمدحه رجال الدين في أيامه بل طردوه واضطهدوه.

ليس هناك شيء لا يرغب العالم فيه أكثر من عدم رغبته في وجود أناس يخضعون لمُلك يسوع، وبالتالي، يكونون مثله. ولا ترغب الكنيسة في شيء أكثر من رغبتها في وجود تلاميذ أكثر يشبهون يسوع. وهناك شيء واحد

مؤكَّد وهو أن هؤلاء الأشخاص سيضطَهَدون؛ لأنهم مثل يسوع، لكنهم سيحصلون على مكافأة عظيمة عندما يأتي الملكوت في كماله.

بينما يضطهد العالمُ التلاميذَ الذين يشبهون يسوع، علينا أن نتذكر أن هؤلاء التلاميذ هم الأشخاص الذين يستخدمهم **الله** كي ينبِّه العالم إلى خطاياه، وإلى احتياجه للملكوت.

الجزء الرابع

العالم والملكوت

كتلاميذ دخلوا الملكوت وبدأوا في الحياة تحت مُلكِ **الله**، سنجد أنفسنا في صراع بين «العالم» و «الملكوت»، حيث إنه علينا أن نعيش في كليهما في ذات الوقت.

يتناول القسم الأول من الموعظة على الجبل –والذي يلي التطويبات مباشرة– (متى٥: ١١–١٦) رد فعل العالم تجاه الملكوت، وموقف الملكوت من العالم.

العالم

يستخدم العهد الجديد كلمة «kosmos» أي «العالم» للدلالة على ثلاثة أشياء:

- العالم المخلوق أي نظام الخليقة كلها (يوحنا١: ١٠، ١٧: ٥) و(رومية١: ٢٠).
- مجال الحياة البشرية – عالم البشر الذي يُولد فيه كل إنسان (يوحنا٣: ١٦ و٦: ١٤ و٩: ٥، ٣٩ و١١: ٢٧ و١٢: ١٩ و١٣: ١ و١٤: ١٩ و١٨: ٣٧) و(١كورنثوس١٤: ١٠) و(١تيموثاوس٦: ٧).
- العالم الخاطئ الذي هو في صراع مع **الله** (١يوحنا٢: ١٥–١٧).

لذلك، علينا –عندما نرى كلمة «العالم» في العهد الجديد– أن نعرف أيًّا من معانيها الثلاثة هو المقصود، وإلا سنخطئ في فهم السياق. على سبيل المثال، يكشف (يوحنا٣: ١٦) عن محبة **الله** العظيمة نحو العالم، لكن يوحنا يوصينا أيضًا في (١يوحنا٢: ١٥–١٧) ألاَّ نحب العالم. بالطبع يستخدم

يوحنا كلمة «العالم» بمعنيين. ترد الكلمة في بشارته بمعنى «البشرية» وفي رسالته بمعنى «النظام المعادي لله والمتمرد عليه». وعندما يحذِّرنا يوحنا من محبة العالم لا يقصد عالم الطبيعة أو عالم البشر بل العالم الذي نَصَّب نفسه في عداء مع الله.

وهذا المعنى الأخير هو المعنى المقصود عندما نتناول العداء بين العالم والملكوت. وعليه، يمثِّل العالم النظام المعادي لله. لكن هذا النظام وجد في شخص المسيح أكثر من مجرد ند له.

عداوة العالم:

يرسم العهد الجديد صورةً فوتوغرافية كاملة توضِّح الصراع بين العالم والله.

- جاء يسوع إلى العالم، لكن العالم لم يعرفه (يوحنا١: ١٠).
- يعيش العالم في ظلمة روحية بعيدًا عن يسوع (يوحنا٨: ١٢، ٩: ٥).
- العالم يبغض يسوع (يوحنا٧: ٧).
- جاء يسوع لكي يدين ويطرح رئيس هذا العالم خارجًا (يوحنا١٢: ٣١ و١٤: ٣٠ و١٦: ١١، ٣٣).
- التلاميذ ليسوا من هذا العالم (يوحنا١٧: ٩، ١٤، ١٦).
- التلاميذ مُرسَلون إلى العالم كي ينشروا فيه الإيمان والمعرفة (يوحنا١٧: ١٨، ٢١، ٢٣).
- يجب ألاَّ يحب التلاميذُ العالمَ (١يوحنا٢: ١٥، ١٦).
- العالم سيزول (١يوحنا٢: ١٧)، (١كورنثوس٧: ٣١).
- العالم لا يعرف الله (١يوحنا٣: ١).
- العالم يكره المسيحيين (١يوحنا٣: ١٣).
- العالم يرحب بالأنبياء الكذبة (١يوحنا٤: ١).

- العالم له روح ضد المسيح (١يوحنا٤: ٣).
- يستمع العالم إلى أبنائه (١يوحنا٤: ٥).
- العالم في قبضة الشرير (١يوحنا٥: ١٩).
- يسوع هو مخلِّص العالم (١يوحنا٤: ١٤).
- الإيمان بيسوع يغلب العالم (١يوحنا٥: ٤–٥).
- يقع العالم تحت دينونة **الله** (رومية٣: ١٦)، (١كورنثوس٦: ٢، ١١: ٣٢).
- روح العالم يعادي روح **الله** (١كورنثوس٢: ١٢).
- العالم بلا رجاء وبلا إله (أفسس٢: ١٢).
- يضيء المسيحيون وسط جيل معوج ملتو يسكن العالم (فيلبي٢: ١٥).
- المسيح صالَح العالم (٢ كورنثوس٥: ١٩).
- يعيش المسيحيون في العالم، لكنهم لا ينتمون إليه (كولوسي٢: ٢٠).

نرى الآن مدى البغض والتعارض بين العالم والملكوت، ولا يمكن أن يكون هناك سلام وتعاون بينهما؛ لأن العالم يعادي أبرار الملكوت، والملكوت يفضح خطاة العالم. وهذا يوضح احتياج أناس العالم الضروري إلى الولادة الثانية؛ إلى التغيير الداخلي من قِبَل **الله**. لا رجاء للعالم دون عمل نعمة **الله**.

كراهية واضطهاد

لنا في العهد الجديد، وفي تاريخ الكنيسة، شهادة صادقة تعكس كره العالم المتأصِّل للمسيحية الحقيقية ومعارضته لها عن طريق الاضطهاد. يجب ألا ننسى هذه الحقيقة اليوم، بينما يبارك **الله** الكنيسة وينمِّيها؛ لأن العالم في لحظة ما، سيجيبنا بنفس المعارضة والكراهية والاضطهاد الذي واجهته الكنيسة على مر العصور.

- يخبرنا (متى٥: ١١) أن نتوقع التعيير والطرد من قِبَل العالم الذي يدَّعي علينا شرًّا بالكذب.

- يعلِّمنا (لوقا٦: ٢٢) أن نتوقع البُغض والتعيير والطرد باسم شرير.
- يعلِّمنا (أعمال١٤: ٢٢) أن دخول الملكوت محاط بالكثير من الضيقات.
- يقول بولس في (٢تيموثاوس٣: ١٢) إن كل الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطَهَدون.
- يخبرنا (١يوحنا٣: ١٢–١٣) ألاَّ نستغرب عندما يكرهنا العالم.

لماذا يَضطهِد العالمُ الملكوتَ؟

يقتفي العهد الجديد آثار اضطهاد العالم للملكوت: في محاولة هيرودس لقتل يسوع، في سجن وموت يوحنا المعمدان، في القبض على يسوع وصلبه، في سجن بطرس ويوحنا، في موت استفانوس ويعقوب، في تشتُّت المؤمنين، في المعارضة الشديدة لبولس، وفي الضيقة التي يتحدث عنها سفر الرؤيا.

يهتم العهد الجديد بإعداد التلاميذ للاضطهاد أكثر من اهتمامه بشرحه. لكن يبدو أن العالم يكره الأشخاص الذين يعيشون تحت حكم الله؛ لأنهم مختلفون عنه اختلافًا جذريًّا. من أسوأ الأشياء التي يتميز بها الإنسان هي معارضته لمن هم ليسوا مثله. نرى ذلك في ممارسات العنصرية والتطهير العرقي وسياسة التمييز العنصري والصراع الطبقي والتمييز على أساس الجنس، وكذلك في الطريقة التي يجفل بها الشخص عندما يُصادِف شخَّاذًا أو مختلاً عقليًّا.

التلاميذ الذين يعيشون حسب توجُّهات يسوع هم مساكين بالروح، حزانى، أنقياء القلب، محِبُّون، كرماء، رحماء، جياع للبر، يهتمون بصنع السلام ويعارضون النفاق. إنهم يقفون ضد الخطية والأنانية والنزعات

المادية. لا يضعون ثقتهم في تعليمهم وقدراتهم الطبيعية وطقوسهم الدينية. يعارضون قِيَم العالم ويختلفون عنه دائمًا. ونتيجةً لذلك كله، يعاديهم العالم.

تؤكد نصوص مثل (كولوسي١: ١٣) و(١يوحنا٥: ٧) على الفرق بين الأشخاص الذين يعيشون تحت حكم العالم، والأشخاص الذين يعيشون تحت حكم **الله**. توضح تشبيهات مثل «النور والظلام» و «الحياة والموت» أن الملكوت والعالم ليس بينهما أي شيء مُشتَرَك وأنهما مختلفان تمام الاختلاف. يستفيض العهد الجديد، ويخبرنا بما هو أكثر من ذلك عندما يحدد سببين أساسيين وراء كره العالم للتلاميذ.

١. الكلمة

- يوضِّح (يوحنا٥: ٢٤) أن سماع كلمة يسوع يرتبط بالانتقال من الموت إلى الحياة، من العالم إلى الملكوت.
- يوضِّح (متى١٣: ١٨–٢٣) أن سماع كلمة الملكوت يقع في قلب الصراع بين العالم والملكوت. يكشف (عدد٢١) صراحةً أن الضيق والاضطهاد يحدثان بسبب الكلمة. كما يقول (عدد٢٢) أن العالم يهدف إلى خنق الكلمة.
- يربط (يوحنا١٧: ١٤) بين كلمات يسوع وكراهية العالم. التلاميذ مكروهون؛ لأنهم «ليسوا من العالم». وهم «ليسوا من العالم» لأنهم قبلوا كلمة يسوع.

نعرف أن الملكوت هو المُلك الشخصي **لله**. ورأينا أن **الله** يملك علينا بصورة شخصية مباشرة من خلال كلمته. يتحدث **الله** إلينا من خلال كلمته ونستجيب نحن له من خلال إيماننا به وخضوعنا له.

يفهم العالم الأحكام والأنظمة والتشريعات، ويقع التقيُّد بالقانون في قلب العالم. لكن الملكوت المؤسَّس على كلمة **الله** هو «أناثيما» بالنسبة للعالم، ولن يدَّخِر العالم جهدًا حتى يدمره.

٢. المسيح

- يوضِّح (يوحنا١٥: ١٨–٢٥) أن العالم يكرهنا؛ لأن المسيح اختارنا ولأننا ننتمي إليه. لقد كره العالمُ المسيحَ قبل أن يكرهنا. والعالم يضطهِدنا لأنه اضطهد المسيح قبلنا. كما يقف ضدنا من أجل اسمه، من أجل يسوع.

إن الاضطهاد الذي يعاني منه التلاميذ ليس اضطهادًا شخصيًّا لهم، لكنه موجَّه إلى الشخص الذي يخضعون لمُلكه. يمارس العالم الاضطهاد كي يجرح شخص المسيح، ويسبِّب الألم **لله**. ويوضِّح (يوحنا١٦: ١–٤) أن العالم يفعل ذلك لأنه لا يعرف لا **الله** ولا يسوع.

رد فعل الملكوت:

يوضِّح العهد الجديد أن التلاميذ الخاضعين لمُلك **الله** عليهم أن يقابلوا كراهية العالم وعداءَه بثلاث طرق مُتمِّمة لبعضها البعض. تعكس كل طريقة من هذه الطرق الأسلوب الذي تعامل به يسوع مع العداء الذي قابله في حياته.

احتمال كل شيء

يصلي يسوع من أجل تلاميذه في (يوحنا١٧: ١٢–١٨). ويقول في صلاته إنهم ليسوا من العالم لذلك يكرههم العالم. لكن بدلاً من أن يطلب من **الله** أن يأخذهم من العالم، طلب منه أن يحفظهم من الشرير وهم في العالم. لقد

أرسل يسوع تلاميذه إلى العالم عالِمًا بما سيلاقونه من معارضة شديدة. لكن، على التلاميذ أن يتحملوا كل ما يقذفهم العالم به.

يؤكِّد العهد الجديد مِرارًا وتكرارًا على احتمال القديسين للمشقات. على سبيل المثال:

- (أعمال١٤: ٢٢) – كان بولس وبرنابا يشدِّدان أنفس التلاميذ الجدد، ويحثاهم على الثبات في الإيمان، موضِّحين لهم أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل الملكوت.
- (رومية٨: ١٧) – عندما نتألم، فإننا نتألم مع المسيح.
- (رومية١٥: ٤–٥) – يعطي **الله** الصبر والاحتمال بكلمته.
- (١كورنثوس٤: ١١–١٦) و(٢تيموثاوس٣: ١٠–١٢) – تحمَّل بولس الاضطهاد وهو يطلب من قرَّائه أن يتمثلوا به.
- (فيلبي١: ٢٧–٣٠) – يجب علينا أن نثبت وألاَّ نخاف من مُقاوِمينا.
- (٢تسالونيكي١: ٤–٨) – يجب علينا أن نتحمل بصبر وإيمان.
- (٢تيموثاوس٢: ٣) – يجب علينا أن نتحمل كجنود.
- (٢تيموثاوس٢: ١٢) – سيكافئ **الله** تحمُّلنا وصبرنا.
- (عبرانيين٦: ١٥) – كافأ **الله** احتمال إبراهيم وصبره.
- (عبرانيين١٠: ٢٩–٣٩) – يجب علينا أن نقف بجانب محتملي المشقات. كما يجب علينا نحن أيضًا أن نتحلَّى بالاحتمال، عالمين أننا سنأخذ ما هو أفضل في السماء.
- (يعقوب٥: ١١) – الاحتمال هو جزء من خطة **الله** لنا.
- (١بطرس٢: ١٩–٢٣) – يمدح **الله** الاحتمال.

المحبة والمغفرة لمن يضطهدوننا

يشرح يسوع في الموعظة على الجبل (متى٥: ٤٣–٤٨) ما يتوقعه من

تلاميذه في تعاملهم مع أعدائهم. وإذا كنا نعيش حقًا بحسب توجهات الملكوت، فسوف:

- نحب أعداءَنا.
- نبارك لاعنينا.
- نُحسِن إلى مُبغِضينا
- نصلي لأجل الذين يسيئون إلينا.

توضِّح الأعداد من ٤٥ إلى ٤٨ أننا مدعوون للتصرُّف بهذه الطريقة؛ لأن هذه هي طريقة **الله**. نرى في (لوقا٢٣: ٣٤) مثالاً عمليًّا واضحًا لرد يسوع على مُضطهِديه.

تكرِّر (رومية١٢: ١٤– ٢١) كثيرًا من تعاليم يسوع، يجب ألاَّ يغلبنا الشر، بل أن نغلب الشر بالخير – بمحبة أعدائنا ومباركتهم.

الفرح عند الاضطهاد

رأينا في (متى٥: ١٢) أن يسوع يحثنا أن نفرح عند الاضطهاد، ويزيد (لوقا٦: ٢٣) على هذا قائلاً: «افرحوا وتهللوا». يبدو لنا كلام لوقا للوهلة الأولى سخيفًا ومنافيًا للعقل. لكننا لا نفرح ونتهلل لأننا نُضطَهَد، لكن لأننا سنأخذ مكافأة عظيمة في السماء.

- نرى في (أعمال٥: ٤١ و١٦: ٢٥) و(فيلبي٢: ١٦–١٧) و(كولوسي١: ٢٤) كيف طبَّق التلاميذ تعاليم يسوع عمليًّا.
- نقرأ في (رومية٥: ٣–٥) كيف يفتخر بولس في الضيقات لما تنشئه فيه.
- توضِّح لنا (٢كورنثوس٤: ١٦–١٨) الطريقة التي واجه بها التلاميذ الضيقات الوقتية التي تنشئ «أكثر فأكثر ثِقَل مجدٍ أبدي».

- يشجِّعنا (يعقوب١: ٢–٣) أن نفرح في التجارب؛ لأنها تُنشِئ فينا صبرًا.
- تشجِّعنا (١بطرس٤: ١٢–١٩) على الفرح في الضيقات؛ لأننا نشارك المسيح في آلامه، كما توضح أنه سيكون لنا فرح أعظم في اليوم الأخير.

حياة الملكوت في العالم:

علينا –كي نفهم العلاقة بين الملكوت والعالم– أن نقرأ (يوحنا١٧: ١٥–١٨). لقد أرسلنا المسيح إلى العالم وهو يريدنا أن نصل إلى العالم. يعلم يسوع أننا لسنا من العالم، وأن العالم يكرهنا. ومع ذلك، لا يسأل الآب أن يأخذنا من العالم، بل أن يحفظنا فيه سالمين. لماذا؟ لأنه يريدنا أن نعلن الأخبار السارة للعالم بكلامنا وحياتنا لكي يعرف العالم الحقيقة عن محبة **الله**.

يستخدم يسوع صورتين في (متى٥: ١٣–١٦) ليوضح الطريقة التي يجب أن نرتبط بها بالعالم الذي يكرهنا ويضطهدنا.

ملح الأرض

يقول (متى٥: ١٣) إن التلاميذ هم «ملح الأرض». كان للملح في أيام يسوع خمسة استخدامات أساسية.

- كان يُضاف إلى الطعام كي يعطيه نكهةً ويجعله مستساغًا لذيذ المذاق.
- كان اللحم يُنقَع في الملح كمادة حافظة تبطئ من فساده.
- كان الملح يُلقَى على الفضلات الإنسانية كمُطهِّر ومُبيد للجراثيم.
- كان يُخفَّف بإضافة الماء إليه كي يُستخدَم كمُطهِّر مُساعِد للعلاج.
- كان يُرَش على التربة كسماد لزيادة الحصاد.

عندما قال يسوع إن التلاميذ يجب أن يكونوا ملح الأرض، كان يضع في اعتباره هذه الاستخدامات اليومية للملح.

- لا يوجد في العالم ما يَسُر – وجود التلاميذ الذين يخضعون لمُلك **الله** به يجعله أكثر احتمالاً.
- العالم فاسد ويُفسِد – يجعله التلاميذ أقل بُغضًا وكراهية.
- العالم نفاية – والتلاميذ فيه يحاربون الشر بشدة.
- العالم مريض– يجلب له التلاميذ الشفاء.
- العالم هو التربة التي تُزرَع بها بذار **الله** – يجعل التلاميذ العالم تربةً أكثر صلاحية، ويعدُّونها لزراعة البذور.

قيامنا بدورنا كملح الأرض، يعني أن نرتبط بالعالم. لا يمكن للملح أن يحفظ اللحم من الفساد إلا إذا أُضيف مقدار منه إلى اللحم. ولا يمكن أن يشفي إلا إذا تلامس مع الجرح. ولا يمكن أن يعمل كمطهِّر ومُبيد للجراثيم إن لم يوضع في وسط أكثر الجوانب الكريهة للحياة. ولا يمكن للملح أن يعمل كملح إن وُضع في وعاء؛ حيث سيفقد خاصيته ويصبح بلا فائدة. يجب أن يكون الملح «في العالم».

يتصرف التلاميذ كملح الأرض بخمس طرق تكمِّل بعضها البعض:

- وجودنا – حياتنا تحت مُلك **الله** وبحسب توجُّهات الملكوت الرائعة، مجرد وجودنا يحسِّن العالم حولنا ويجعل منه «تربةً» أكثر استجابة لكلمة **الله**.
- اعتراضنا – عندما نعلن مبادئ **الله**، ونقف ضد الظلم ونُقاوِم الشر ونساند المقهورين، تمنع اعتراضاتنا –التي بحسب **الله**– فساد العالم وتجلب له الشفاء والنقاء.
- كرازتنا – عندما نعلن الأخبار السارة ونُذيع بر **الله** والحياة التي

بحسب مشيئته، ستغير كلماتنا العالم، وتُحدِث به فرقًا عظيمًا، حيث أن كلمة **الله** لا تضيع سُدَى.

- صلواتنا – بالتشفُّع للعالم ونيابة عنه، تضع صلواتنا قوة **الله** قيد العمل كي تجلب التغيير والتحسين والشفاء والحياة.
- خدمتنا العملية – عندما نُطعِم الجوعى، ونكسو العريانين، ونزور المسجونين، ونغسل أقدام الآخرين، ونستضيف الغرباء، ونعزِّي كسيري القلوب، فسوف تغيِّر أعمالنا –التي هي بتوجيه من **الله**– العالمَ حولنا.

ربما كان لاستخدام يسوع لصورة الملح معنى روحي بالنسبة لتلاميذه. كان الملح في العهد القديم يرمز إلى العهد بين **الله** وشعبه. على سبيل المثال، يوضح كل من (عدد١٨: ١٩) و(٢أخبار١٣: ٥) و(لاويين٢: ١٣) أن ميثاق الملح كان يتضمَّن وضع الملح على التَقدُمة وخاصةً تَقدُمة الحبوب.

يدل هذا على أننا عندما نقوم بدورنا كالملح، فإننا نشهد للعالم عن عهدنا مع **الله** وعلى اعتمادنا على ذبيحته.

نور العالم

يسجِّل (متى٥: ١٤–١٦) الصورة الثانية التي استخدمها يسوع للتعبير عن العلاقة بين الملكوت والعالم. إننا نور العالم، ولا يجب أن نخفي هذا النور. لكن يجب أن يضيء نورنا أمام الرجال والنساء حتى يمجِّدوا أبانا الذي في السماوات.

تؤكد كل من (أفسس٤: ١٨ و٥: ٨–١٣) و(كولوسي١: ١٢–١٣) أن العالم يحيا في الظلام، وأنه ليست هناك منطقة متوسطة بين العتمة والنور. البشر

في ظلام؛ لأنهم يعيشون تحت سلطان الظلمة، لكنهم يصبحون نورًا عندما ينتقلون إلى الملكوت الذي يحكمه «نور العالم».

تتحدث بشارة يوحنا كثيرًا عن النور؛ فتوضح مثلاً أن حياة يسوع كانت نورًا للناس (١: ٤)، وأن يسوع هو النور الحقيقي الذي يعطي النور لكل الناس (١: ٩)، وهو كذلك نور العالم الذي عندما نتبعه لا نسير في الظلمة أبدًا بل يكون لنا نور الحياة (٨: ١٢).

أعلن يسوع أنه نور العالم أثناء عيد المظال (٧: ١–١٠: ٢١). في هذا العيد، كانت دار النساء تُضاء من منارتين عاليتين تحمل كل واحدة منهما أربعة مصابيح كبيرة، كانت تُلقي نورها على المدينة كلها في إشارة إلى عمود النار الذي كان يقود الشعب في البرية أثناء الليل. عندما يعلن يسوع هكذا عن نفسه في هذا السياق، فإنه يؤكِّد على إرشاده الإلهي الدائم لنا.

يسجل يوحنا حادثتين توضِّحان الطبيعة الفائقة لنور يسوع. وقفت امرأة زانية أمام يسوع في النور، لكنه لم يدينها، بينما ذهب الفريسيون مُدانين بخطاياهم (٨: ٣–١٢). ثم في معجزة يبدأها يسوع بإعلان أنه نور العالم، يعيد البصر لشخص أعمى (٩: ١–٧). كما يتحدث يسوع عن نفسه كالنور المُرشِد في (يوحنا١١: ١٠ و١٢: ٣٥–٣٦).

يدل كل هذا على أن نور **الله** يعني الإرشاد والمعجزات والمحبة. يرتبط النور في باقي الكتاب المقدس بـ:

- مجد مسكن **الله** (١تيموثاوس٦: ١٦).
- طبيعة **الله** (يعقوب١: ١٧) و(١يوحنا١: ٥).
- نعمة **الله** (مزمور٤: ٦).

- كلمات **الله** (مزمور١١٩: ١٠٥)، (إشعياء٥١: ٤).
- إرشاد **الله** (مز١١٢: ٤)، (وإشعياء٥٨: ١٠).
- الخلاص (١بطرس٢: ٩).
- البر (رومية١٣: ١٢) و(٢كورنثوس١١: ١٤–١٥) و(١يوحنا٢: ٩–١٠).
- الشهادة عن **الله** (يوحنا٥: ١٤–١٦ و٥: ٣٥).

تتعلق وظيفتنا كنور للعالم بكل هذه النصوص الكتابية. وهذا يعني أننا عندما نعلن عن نور **الله** للعالم، فإننا نُخبِر العالم من هو.

من المهم أن نفهم ربط يسوع بين النور والأعمال، يجب أن يُضيء نورنا حتى يرى العالم أعمالنا الحسنة، لا أن يسمع كلماتنا الحسنة. تصف لنا بقية الموعظة على الجبل بطريقة عملية ما يجب أن يكون عليه الخاضعون لمُلك **الله** الشخصي بصفتهم ملح للأرض ونور للعالم.

الجزء الخامس

البر في الملكوت

نعلم أننا –كتلاميذ ليسوع المسيح– مدعوون لنعيش بالخضوع لمُلك **الله** الشخصي. وهذا ليس أمرًا إجباريًّا لكنه قاعدة تتفق دائمًا وطبيعة **الله**.

رأينا أن يسوع في الموعظة على الجبل أرسى أولاً توجُّهات الملكوت، حين رسم الخطوط العريضة للشخصية التي يتوقع أن يجدها في كل من يتبعونه. وعلَّمنا أنه يهتم بتوجُّهاتنا أكثر مما يهتم بأفعالنا. لكن توجُّهاتنا يجب أن تقودنا إلى أعمال تتفق وشخص يسوع.

تحدثنا أيضًا عن الصراع بين العالم والملكوت، ورأينا استخدام يسوع لصورتي «الملح» و«النور» ليصف نوع العلاقة التي يجب أن تربطنا بالعالم ووظيفتنا فيه. وقبل أن نبدأ في وصف ملك **الله** بتفصيل أكثر، دعونا أولاً نلقي نظرة على (متى٥: ١٧–٤٨). يقارن متى في هذه الجزئية بين قواعد عهد «ملك **الله**» أو «حكم **الله**» وقواعد عهد «أحكام **الله**»، وذلك من خلال المقارنة بين كلمات يسوع ومجموع الأحكام أو القواعد التي ينص عليها ناموس موسى.

البر والناموس:

علينا أن نقرأ (متى٥: ١٧–٢٠) كي نفهم العلاقة بين التلاميذ والناموس، أي القواعد التي سجلها موسى في العهد القديم. يستند بعض معلمي الكتاب المقدس إلى هذه الأعداد من بشارة متى في قولهم إن المؤمنين اليوم عليهم

أن يحفظوا بعضًا من ناموس موسى أو كله. لذا علينا أن نفهم جيدًا ما يقوله يسوع هنا.

- «لاَ تَظُنُّوا» – يدل (عدد١٧) على أنه من السهل أن نخطئ فهم إرسالية يسوع. ربما يفهم البعض أن صداقته مع الخطاة تدل على أن مقاييسه ليست رفيعة المستوى.
- « النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ» – يشير (عدد١٧) إلى كل العهد القديم.
- «مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» – يوضح (عدد١٧) أن يسوع شخصيًّا جاء ليكمِّل كل العهد القديم. الفعل اليوناني «pleroo» الوارد هنا يعني «يتمم». تشير كل نبوة في العهد القديم إلى شخصه، وقد تمم هو كل هذه النبوات. كما يشير كل مطلب من مطالب الناموس إلى شخصه، وقد تمم هو جميع هذه المطالب.
- «حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ» – يشير (عدد١٨) إلى حياة يسوع وموته كتتميم للناموس والأنبياء. إن حياته وموته هما كنقطة الوقف في الكتابة (.) وُضعت في نهاية الناموس والأنبياء. لقد بدأ الآن عهد جديد. ومع ذلك هو عهد مؤسَّس على الناموس والأنبياء.
- «يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ» – يوضح (عدد٢٠) أن يسوع لم يأتِ لينتقص من مستوى مقاييس الناموس، حيث إن تبعيته تعني الحياة وفقًا للمقاييس التي تنص عليها كلمة **الله**.

عندما ننظر إلى أبعد من هذه الأعداد، سنرى العديد من المبادئ عن البر والناموس التي علينا أن ندركها كي نفهم ونقدِّر بقية تعاليم يسوع في الموعظة على الجبل.

- لم يهدف يسوع إلى تطوير الناموس أو التوسُّع فيه، وكان يؤكد دائمًا أن الرحمة تأتي قبل الأعراف والتقاليد (متى٩: ٩–١٣، ١٢: ١–١٤، ١٥: ١–٢٠).

- كان يسوع حريصًا على حفظ الناموس وإتمامه (٤: ١–١١، ٥: ١٧، ٨: ٤).
- إتمام يسوع للناموس نتج عنه عهد جديد. لقد تنبأ الناموس والأنبياء حتى عصر يوحنا فقط (متى١١: ١١–١٣). والمبدأ الذي يحكم الحياة المسيحية هو مبدأ غير خاضع للناموس. على الرغم من أن البر المسيحي ليس مجرد استمرار لتفاصيل الناموس، إلا أن التلاميذ سيتممون المبادئ التي يتأسس عليها الناموس بصورة غير مباشرة بل ويتفوقون عليها. إن البر المسيحي يفوق الناموس؛ لأن مُلك يسوع وحكمه هما أكثر تأثيرًا في إحداث التغيير.
- تتطلب التلمذة تغير في المُلك الذي يخضع له الشخص؛ حيث يصبح يسوع –وليس الناموس– هو مركز حياة التلاميذ. لا يذكر يوحنا المعمدان الناموس فيما طالب به الشعب. كما لم يذكره يسوع في وصفه للحياة في الملكوت (متى٣: ٧–١٢، ٥: ٣–١٦، ٢١–٤٨). تركز بقية الموعظة على الجبل على الحياة تحت «عين **الله**»، وتوضح أن الحكم يتأسس على كلمات يسوع الذي يخضع التلاميذ له. من بداية الموعظة إلى نهايتها، يوجِّه يسوع حديثه إلى التلاميذ مباشرةً ويأمرهم بمطالبه الشخصية دون أن يشير إلى الناموس.
- البر المسيحي – أي الحياة بالخضوع ليسوع وتحت «عين **الله**» التي ترى كل شيء – هو أسهل بكثير من الخضوع للناموس. يمكن تلخيص مُلك **الله** كله في المبدأ الذي ينص عليه (متى٢٢: ٣٤–٤٠).
- البر المسيحي لا يتقيد بقانون؛ لأن محوره هو شخص. إنه علاقة حية مع يسوع. يوضح (متى٢٨: ١٨–٢٠) إنه يجب علينا أن نعيش حسب كلمات يسوع وليس حسب مطالب ناموس العهد القديم.

يوضح (متى٥: ٢١–٤٨) الفرق الشاسع بين الحياة الخاضعة ليسوع

والحياة الخاضعة للناموس. يتناول هذا الجزء من بشارة متى ستة مجالات في نطاق الحياة اليومية، ويوضح كيف يجب على التلاميذ أن يعيشوا تحت مُلك الله. توضح تعاليم يسوع أن ملكه الشخصي حل محل ناموس موسى، ومع هذا يمكن وصف البر الذي يدعو إليه.

الغضب:

سنرى في كل مجال من المجالات الستة كيف يعلِّق يسوع على الناموس، وسنقارن بين ما يطالب به الناموس وما يطالب به ملك يسوع. يتناول الجزء الأول (متى٥: ٢١–٢٦) وصية تحريم القتل الواردة في (خروج٢٠: ١٣).

أولاً: يبدأ يسوع كل قاعدة ناموسية بعبارة «سمعتم». ثم يقابلها بالقاعدة الجديدة التي يعطيها والتي يبدأها بعبارة «أما أنا فأقول لكم». هذه المقابلة التي يكررها يسوع ست مرات يمكن فهمها بثلاث طرق مُكمِّلة لبعضها البعض:

- سمع التلاميذ قبلاً بصورة غير مباشرة، والآن يتحدث يسوع إليهم شخصيًّا بصورة مباشرة.
- موسى وضع الناموس، أما الآن فيتحدث يسوع بسلطة أعلى.
- فسر الكتبة الناموس وأضافوا له تراثهم البشري، أما الآن فيأخذهم يسوع إلى المبادئ التي هي خلف الناموس.

طبقًا للناموس كان الفعل الخاطئ يستوجب العقاب. «لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ». يشير الحكم هنا إلى الإجراءات القضائية التي يسجلها (عدد٣٥: ١٢) و(تثنية١٧: ٨–١٣).

لكن طبقًا ليسوع: «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ

الْحُكْم. وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ».

ثم يستطرد يسوع موضِّحًا أن المصالحة العملية هي أهم من السجود. لا يجب على التلاميذ فقط أن يظهروا الرغبة في المصالحة، لكن عليهم أن يبدأوا بالمصالحة. تؤكد هذه القاعدة على توجُّه الوداعة وتوجُّه صنع السلام.

توضح كل من (رومية١٢: ١٧–١٨) و(أفسس٤: ٢٥–٣٢) و(عبرانيين١٢: ١٤) و(١يوحنا٣: ١٥) كيف طبقت الكنيسة هذه القاعدة في تعاليمها العملية. لقد طور يسوع الناموس هنا بأربع طرق مختلفة:

١. جعله أكثر قدرة على إحداث التغيير

التلاميذ مُطالَبون بأمور أكثر بكثير في نطاق الملكوت؛ فليس عليهم فقط الامتناع عن القتل، بل عليهم أيضًا الامتناع عن الكراهية والغضب.

٢. جعله داخليًّا

يرتبط حكم الملكوت بالكلمات والذكريات والتوجُّهات، كما يرتبط بالفعل العملي للقتل.

٣. زاد من العقوبة

تُحيل أحكام الناموس الشخص المُخطئ إلى المحاكم الصغرى في مقاطعات الدولة. أما حكم يسوع فيُحيل المُخطئ إلى مجلس السنهدرين الذي ينعقد في أورشليم ثم إلى نار جهنم، مما يوضح أن الأمور التي يتحدث عنها هي أمور أبدية أكثر جدية.

٤. غيَّر التركيز

يتأسس الملكوت بكامله على شخص يسوع نفسه. إن سلطان وأساس هذه المطالب الجديدة هو له، حيث لا يشير إلى أية سلطة غير نفسه، مؤكِّدًا دائمًا «أنا أقول لكم».

علينا ألاَّ ننسى –في سياق فهمنا للفرق بين الناموس والملكوت– أن يسوع لم يأتِ لينقض الناموس، فهو لم يعطِ الإذن بالقتل. لكن مقاييس ملكوته سَمَت بكثير عن مقاييس الناموس القديمة.

العِفَّة:

يتناول الجزء الثاني (متى٥: ٢٧–٣٠) وصيةً أخرى من الوصايا العشر، وهي الوصية الواردة في (خروج٢٠: ١٤). يقابل يسوع مرةً أخرى بين الوصية القديمة في عبارة «سمعتم»، ووصيته الجديدة في عبارة «أما أنا فأقول لكم».

يذكر يسوع أولاً القاعدة الناموسية «لاَ تَزْنِ». ثم يعلن المقياس الجديد للملكوت: «كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ». ثم يستطرد يسوع موضِّحًا أنه علينا أن نخطو خطوات عملية جادة نحو تجنُّب الخطايا الجنسية بالفكر والعمل. ومرة أخرى يركز يسوع على أفكارنا وتوجُّهاتنا أكثر مما يركِّز على أفعالنا. يقول الناموس: «لا تفعلها». أما الملكوت فيقول: «ليكن لك فكر يسوع وتوجُّهه وبالتالي لن تفعلها».

توضِّح كل من (١كورنثوس٦: ١٣–٢٠) و(٢كورنثوس٦: ١٤–٧: ١) و(٢تيموثاوس٢: ٢٢) كيف طبقت الكنيسة الأولى هذا المبدأ. نرى هنا أيضًا أن يسوع طور الناموس بنفس الطريقة التي طوره بها فيما يتعلق بالقتل.

١. جعله أكثر قدرة على إحداث التغيير

التلاميذ مُطالَبون هنا أيضًا بأكثر من مجرد الامتناع عن الزنا، حيث عليهم أن يمتنعوا أيضًا عن الأفكار الشهوانية.

٢. جعله داخليًّا

يرتبط حكم الملكوت بالأفكار والتوجُّهات، كما يرتبط بالفعل العملي للزنا.

٣. زاد من العقوبة

يُحيل الحكم هنا إلى نار جهنم، مما يؤكِّد مرةً ثانيةً على أن الأمور الأبدية على المحك: ملكوت أبدي، مكافآت أبدية، عقاب وخسارة أبدية.

٤. غيَّر التركيز

يتأسس الملكوت بكامله على شخص يسوع نفسه؛ حيث إن سلطان وأساس هذه المطالب الجديدة هو له وحده. لا زال يسوع لا يشير إلى أية سلطة غير نفسه؛ حيث لا يستشهد بأقوال شخص آخر لتأكيد المبدأ الذي يعلنه. إن كل كلماته هي كلمات شخصية يوجِّهها إلى تلاميذه.

يجب أن نؤكِّد هنا أيضًا أن يسوع لم يأتِ لينقض الناموس ويلغيه، فهو لم يعطِ إذنًا بارتكاب الزنا. لكن مقاييس ملكوته سَمَت بكثير عن مقاييس الناموس القديمة، وهي تفوق مقاييس الكتبة والفريسيين.

الزواج:

يقابل الجزء الثالث (متى٥: ٣١-٣٢) بين سماح الناموس بالطلاق كما ورد في (تثنية٢٤: ١) ونظرة يسوع للزواج. يصرِّح يسوع مرة أخرى

بالوصية القديمة في عبارة «سمعتم». ثم يعلن وصيته الجديدة في عبارة «أما أنا فأقول لكم».

يعلن يسوع القاعدة الناموسية عن الطلاق، ثم يعدِّلها بسحب التصريح الذي تعطيه. بدلاً من أن يسمح يسوع بالطلاق لكل سبب ولأي سبب، يؤكِّد يسوع على وجوب دوام الزواج. السبب الوحيد المقبول للطلاق في الملكوت هو الخيانة الزوجية.

يختلف موقف يسوع من الناموس في هذا الجزء عن موقفه منه في الجزأين السابقين، حيث يغير يسوع هنا القاعدة الناموسية كما لو أنه يعتبر قواعد العهد القديم غير ملائمة للتلميذ الذي يعيش تحت حكمه الشخصي.

لكن يسوع لم ينقض الناموس بجعل فعل الخطية أسهل أو بتقرير مبدأ أقل في السمو من القاعدة الناموسية. كذلك يقرر يسوع المبدأ الجديد بالاستناد إلى سلطته الشخصية هو فقط، وهو مبدأ يسمو عن قاعدة الناموس. يشرح يسوع هذا الأمر في (متى١٩: ١–١٠).

الصدق:

يصف الجزء الرابع (متى٥: ٣٣–٣٧) اختلاف يسوع مع جزء آخر من الناموس وهو الجزء المتعلق بالقَسَم في (لاويين١٩: ١٢) و(عدد٣٠: ٢–١٦) و(تثنية٢٣: ٢٢–٢٤).

يقابل يسوع مرة أخرى بين الوصية القديمة في عبارة «سمعتم» ووصيته الجديدة في عبارة «أما أنا فأقول لكم». تقول الوصية القديمة: «لاَ تَحْنَثْ

بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ». يعدِّل يسوع هذه الوصية عندما يأمر تلاميذه ألا يحلفوا البتة في أي ظرف.

يطالب الناموس بالقَسَم، لكن يسوع لم يمنع مجرد القَسَم الكاذب، كما لم يقصر القَسَم على بعض الحالات. لكنه يطالب تلاميذه بالكلام البسيط المستقيم في كل الأوقات، مؤكِّدًا أن «مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ».

نرى هنا مرةً أخرى أن المبدأ الذي يُرسيه يسوع له قدرة على التغيير أعظم من قدرة الناموس. كما أنه واسع التطبيق، يتأسس على سلطة يسوع الشخصية، وأي شيء يخالفه هو من العدو. من المهم أن نفهم هنا أن يسوع يقرر أن التلاميذ الحقيقيين ليسوا في حاجة إلى إعطاء القَسَم عندما يُطلَب منهم ذلك. يسوع نفسه رفض أن يتحدث عندما وُضِع تحت قَسَم كما نقرأ في (متى٢٦: ٦٣–٦٤).

نرى في (يعقوب٥: ١٢) أن الكنيسة الأولى استمرت في تعليم التلاميذ أن يعيشوا حسب تعاليم يسوع وليس حسب مطالب الناموس اليهودي. لا يجب أن نقصر تعاليم يسوع هنا على قضية القَسَم. عندما يأمر يسوع تلاميذه أن يكون كلامهم صريحًا ومباشرًا، فهو يعالج قضايا المبالغة في الحديث أو إقرار حقيقة ما بصورة أدنى من واقعها.

الحقوق:

يختلف يسوع أكثر مع الناموس في الجزء الخامس (متى٥: ٣٨–٤٢) الذي يتناول الحقوق المذكورة في (خروج٢١: ٢٤) و(تثنية١٩: ١٥–٢١) و(لاويين٢٤: ٢٠).

كما هو الحال في كل الأجزاء الستة، يذكر يسوع مطالب الناموس في عبارة «سمعتم»، ووصيته الجديدة في عبارة «أما أنا فأقول لكم». يعطي يسوع أولاً ملخصًا لما ورد في الناموس: «عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ». ثم يشرح أن من يخضعون للملكوت لا يسعون نحو الثأر والانتقام ممن أخطأ إليهم. على تلاميذ الملكوت ألا يصرُّوا بأنانية على استرجاع حقوقهم. لكن عليهم– بدلاً من ذلك– أن يتَّصفوا بالكرم والرحمة في تعاملهم مع الآخرين.

أقوال يسوع في الأعداد من ٣٩ إلى ٤٢ هي أكثر تعاليم يسوع مخالفة للأفكار والمبادئ السائدة سواء مبادئ الناموس اليهودي أو مبادئ العصر الحديث. توضح لنا (رومية١٢: ١٧–٢١) أن مبادئ يسوع هذه –وليس مبادئ الناموس –هي التي كانت الكنيسة الأولى تتعلمها.

المحبة:

المحبة هي موضوع الجزء السادس والأخير (متى٥: ٤٣–٤٧) من المقارنة بين بر يسوع وبر الناموس. ترد في هذا الجزء آخر مقابلة بين عبارتي «سمعتم» و «أما أنا فأقول لكم».

يشير يسوع هنا إلى (لاويين١٩: ١٨). لكن الجزء الثاني من سؤاله ليس من الناموس. ربما يحث الناموس على المحبة الانتقائية، لكنه لا يُشرِّع الكراهية. ربما يشير يسوع هنا إلى تراث القرن الأول للكتبة الذي أُضيف إلى الناموس. على أية حال، يعطي يسوع قاعدةً جديدةً أكثر سموًّا من القاعدة الناموسية، حيث يحث تلاميذه على محبة الكل بمن فيهم الأعداء. وهذه قاعدة تتعدى مطالب الناموس بكثير.

في هذه الأعداد – كما في (لوقا٦: ٢٧–٣٦ و١٠: ٢٥–٣٧) – يوضِّح

يسوع أننا مدعوون إلى أن نحب أعداءنا ونبارك لاعنينا ونُحسِن إلى من يكرهوننا ونصلِّي من أجل الذين يضطهدوننا وذلك حتى نكون أبناء أبينا الذي في السماوات. إننا لا نتصرف هكذا لكي نصبح أبناء **الله**، بل لأننا نتبع توجُّهات **الله**. وهذه هي الطريقة التي تعامل بها يسوع مع أعدائه ومع الذين أظهروا له الكراهية واضطهدوه.

وأخيرًا يقرر يسوع في (متى٥: ٤٨) مقياس الحياة الذي يتوقعه من رعايا ملكوته. علينا أن نكون كاملين كما أن أبانا كامل. علينا أن نتمتع بالبر الملكي – الحياة المستقيمة – الذي يليق بأبناء الملك.

في كل هذا الجزء من الموعظة على الجبل (متى٥: ٢١–٤٨) رأينا كيف يوضِّح يسوع ضمنيًّا أن من حقه الشخصي ومن سلطته أن يعدِّل الناموس. على سبيل المثال:

- يشدِّد الناموس في بعض الأجزاء.
- يختلف يسوع مع الناموس في أجزاء أخرى.
- يشير يسوع إلى سلطانه على الناموس.
- يضيف يسوع بُعدًا داخليًّا للناموس.

هذه المحبة –كما يوضح يسوع– هي قمة مطالب ملكوته، كما أنها تتفق تمامًا مع جوهر الناموس. يمكن أن نرى هذه الحقيقة بوضوح في (لوقا١٠: ٢٧–٢٨) و(متى٧: ١٢ و٢٢: ٣٤–٤٠). توضِّح كل تعاليم يسوع في بقية الموعظة على الجبل هذه المحبة العامة الشاملة الكاملة التي تميز الأشخاص الذين يخضعون لملكه ويعيشون حسب توجُّهاته.

الجزء السادس

الحياة الروحية في الملكوت

عند دراستنا للموعظة على الجبل، رأينا كيف أرسى يسوع أولاً التوجُّهات الحياتية التي يتوقع من تلاميذه الخاضعين لملكه أن يتبعوها (متى٥: ٣–١٢). ثم تناولنا رد فعل العالم نحو الملكوت، والطريقة التي يجب على تلاميذ يسوع أن يتعاملوا بها مع العالم (متى٥: ١٣–١٦). وبعد ذلك درسنا العلاقة بين الملكوت والناموس (متى٥: ١٧–٤٨). يتوِّج هذه الأجزاء الثلاثة مقياس الحياة الذي يتوقعه يسوع من رعايا ملكوته: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ».

يبدأ الآن جزء جديد يقدم فيه يسوع صورةً للتلاميذ الذين يعيشون في العالم تحت «عين الله» – أي بالخضوع الكامل لله وبالاعتماد الكامل عليه. يحدد يسوع في (متى٥) الخطوط العريضة لشخصية التلاميذ ويصف الطريقة التي عليهم أن يتصرفوا بها في المجتمع، كما يرينا المقاييس التي يتوقع منا أن نحيا وفقًا لها.

لكن في (متى٦)، يقدم يسوع صورةً للتلاميذ الذين يعيشون حياة الملكوت في العالم. ويؤكد دائمًا أننا نحيا في العالم في حضرة الله الذي يرى كل شيء ولا يخفى عليه شيء. يدور الإصحاح السادس حول علاقة التلاميذ بالآب بينما يعيشون تحت ملك الله في العالم. كما يتناول الإصحاح جانبين من جوانب حياتنا. يركِّز الإصحاح في (الأعداد١–١٨) على حياتنا الروحية. ثم يركِّز في (الأعداد١٩–٣٤) على حياتنا اليومية المعتادة. يجب أن ندرك

أن الملكوت لا يتعلق بمجرد جانب أو اثنين من حياتنا بل بكل حياتنا، حيث يريد **الله** أن يملك عليها بالكامل.

أساسيات الحياة الروحية في الملكوت:

الحياة في الملكوت تعني الفحص الدائم من قِبَل المَلِك؛ فلا يمكننا أن نخفي شيئًا عن الملك بينما نعيش في حضرته. كما يجب أن تكون علاقتنا به علاقة حقيقة. تعلمنا الموعظة على الجبل أن كل أفعالنا وأفكارنا، بل وكل دوافع قلوبنا، هي مكشوفة لروح **الله** الذي نحيا به. سنرى فيما بعد كيف يعطينا هذا رجاءً في حياةٍ حقيقةٍ جديدةٍ نحياها بمعونة **الله** لنا.

يقدم (متى٦: ١) تعاليم يسوع عن حياتنا الروحية ويُرسي المبادئ العامة التي تحكم الجزء الروحي من حياتنا في الملكوت: «احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

توازن سماوي

يبدو هذا العدد للوهلة الأولى مُخالِفًا لما قاله يسوع في (متى٥: ١٦). إن أعمالنا يجب أن تضيء أمام الناس. لكنه يقول هنا في (متى٦: ١) إن أعمال برنا لا يجب أن تظهر للناس. إن كان كل ما نفعله، نفعله في السر من خلف باب مغلق، فكيف سيرى الناس النور؟

يوضح قول المسيح الأول أنه يجب أن تضيء أعمالنا أمام الناس كي يمجِّدوا أبانا الذي في السماوات. أما قوله الثاني فيؤكد أنه لا يجب أن نقوم بأعمال البر أمام الناس كي لا ينظرونا. ولا تناقض بين القولين، حيث

يعبِّر كلاهما عن نفس الشيء لكن بدافعين مختلفين. يجب أن يعيش التلاميذ بطريقة تجعل الناس يمجدون **الله** عندما يرون حياتهم، لكن عليهم ألاَّ يقوموا بفعل أي شيء بغرض جذب الانتباه لأنفسهم. يجب ألا نرغب في أن يلاحظ الناس أفعالنا. لكن علينا أن نتحلى بتواضع إنكار الذات الذي يتَّصف به الروح القدس.

نواجه جميعًا نوعين متضادين من الإغراءات: إما الولع بالتفاخر والتباهي أو إيثار التوحد والانعزال. يهتم بعض المسيحيين كثيرًا بإظهار كل ما يفعلونه، والبعض الآخر يخافون جدًّا من الذات لذا ينعزلون تمامًا عن العالم. لكننا نحتاج إلى توازن سماوي بين هذين النقيضين.

إذا نظرنا إلى تعاليم السيد المسيح هنا على أنها «مزيد من القواعد» فسنخطئ في تنفيذها، لكن إذا فهمنا المبدأ الذي يُرسيه، وعشنا بما يتفق مع مُلكه الشخصي، فسنتخلص من النفاق. إننا مدعوون أن نجذب انتباه الناس إلى ما نفعله كي يمجِّدوا **الله**. لكن علينا أن نتجنب جذب الانتباه إلى أنفسنا بكل الطرق.

إرضاء اللـه

يعطينا العدد الأول من إصحاح ٦ ظاهريًّا حرية الاختيار بين إرضاء الناس وإرضاء **الله**. يتجه كثيرون منا نحو إرضاء الآخرين؛ لأننا نريد في الأساس أن نرضي أنفسنا. إننا نريد أن نرضي الناس كي ندفعهم نحو مدحنا ورؤيتنا بطريقة أفضل.

وعليه، يمكن للفعل الذي يبدو صالحًا في الظاهر أن يكون شرًّا في الأساس؛ لأنه موجَّه من الذات ويتمحور حولها. يميل الإنسان بطبيعته إلى المدح ممن

حوله أكثر من ميله إلى المدح من قِبَل **الله**. لكن يسوع يقول إن هدف تلاميذه الوحيد يجب أن يكون إرضاء **الله**.

اللّه يرى كل شيء

يجب أن يكون هدف حياتنا الرئيسي هو إرضاء **الله** وحده في كل شيء. وعندما يكون هذا هو هدفنا بالحقيقة، ستكون حياتنا خاضعة لمُلك **الله**.

إننا نتبع يسوع الذي كان إرضاء **الله** هو هدف حياته. لقد عاش يسوع كلية من أجل **الله**. وكانت كل أقواله وأفعاله من الآب. لم يضع يسوع أبدًا احتياجاته أو مشيئته أولاً. يوضح لنا (مرقس٧: ٢٤، ٣١–٣٧ و٨: ٢٢–٢٦) كيف كان هدف يسوع أن يعمل دون أن يلاحظه أحد. لم يكن يسوع مهتمًّا بما يقوله الناس عنه؛ لأنه عاش من أجل مجد **الله** فقط. إذا كان هدفنا الوحيد هو أن نعيش ونعمل من أجل **الله** وتحت مُلكه –دون أن نهتم بما يقوله الناس عنا– فسنكتشف كم هو سهل أن نعيش حسب المبدأ الذي أعلنه يسوع في (متى٦: **١**).

ويترتب على ذلك أن التلاميذ الذين يعيشون تحت حكم **الله**، سيعيشون أيضًا تحت عينيه. إن **الله** يرى كل أفكارنا وأعمالنا. ولا يوجد أي شيء نفكر فيه أو نقوم به يخفى عن **الله**. ولا يوجد أي مكان نستطيع أن نختبئ فيه بعيدًا عن عينيه. إننا نعيش دائمًا في حضرته؛ لأنه دائمًا «**الله** معنا». ستتغير حياتنا حتمًا إن أدركنا هذه الحقيقة الرائعة أو ربما المخيفة.

هناك الكثير من التظاهر والخزي في الطريقة التي نتحدث بها عن أنفسنا أمام الآخرين. لكن **الله** يراقب ويسجل كل شيء. يستند كل ما يحتويه هذا

الجزء من الموعظة على الجبل إلى هذه الحقيقة. يذكِّرنا يسوع مِرارًا وتكرارًا في هذا الجزء أن **الله** هو «أبونا الذي يرى في الخفاء».

مكافآت سماوية

إذا فعلنا الشيء الصحيح بالدافع الصحيح فسنُكافَأ من قِبَل **الله**. هذا مبدأ أساسي من مبادئ الملكوت لاحظناه كثيرًا فيما سبق. يَعِدنا **الله** بالمكافأة إن نحن أرضيناه. أما إن لم نُرضِه فسيحكم علينا بطريقةٍ ما.

نقرأ في (عبرانيين١٢: ٢) أن يسوع احتمل الصليب مستهينًا بالخزي من أجل السرور الذي وضعه نصب عينيه. كما نقرأ في (عبرانيين١١: ٢٣–٢٦) أن موسى كان مدفوعًا جزئيًا بالمكافأة التي كان سينالها.

يعلِّمنا العهد الجديد الكثير عن المكافآت المختلفة التي سيوزعها **الله** على التلاميذ. لذا، علينا ألاَّ نخجل عندما نضعها أمام أعيننا ونعمل من أجلها. (٢كورنثوس٥: ٩–١٠) هي نص حيوي جدًّا في هذا السياق.

علينا أن نلاحظ أن يسوع يؤكِّد أن **الله** لن يكافئ هؤلاء الذين يطلبون مكافأةً من الناس. وهذا تأكيد مُطلَق عام. لو أن اهتمامنا يَنصَب على تقدير الناس لعبادتنا، فلن نحصل على شيء من **الله**. ولو كنا نهدف إلى تقديرهم لأعمال خدمتنا وواجباتنا، فلن نحصل على شيء من **الله**. لو طلبنا أي اهتمام أو شكر أو مديح من الناس، فسيكون هذا هو كل ما نحصل عليه.

بعد أن وضع يسوع المبادئ العامة للملكوت في (متى٦: ١)، بدأ في تطبيق هذه المبادئ فيما يتعلق بثلاثة جوانب من جوانب حياتنا الروحية وهي:

العطاء والصلاة والصوم. وفي كل مرة يقارن يسوع بين الطريقة الخاطئة والطريقة الصحيحة لعبادة **الله**.

- لا يجب علينا أن نعبد **الله** كالمرائين – أي بطريقة مُصمَّمة خصيصًا لجذب انتباه الناس.
- لن تكون لنا أية مكافأة إن عبدنا كالمرائين.
- علينا أن نعبد في الخفاء دون أي عرض لما نفعله أمام الناس.
- علينا أن نعبد، عالمين أن **الله** يرانا.
- سيكافئنا **الله** إن عبدنا بهذه الطريقة.

العطاء بحسب الله:

العطاء هو أول مثال يذكره يسوع عن الحياة الروحية في الملكوت. يوضح يسوع لتلاميذه في (متى٦: ٢–٤) كيف يكون عطاؤهم حقيقيًّا. يستخدم يسوع هنا الكلمة اليونانية «eleemosune» التي تعني «عمل رحمة». لا يتحدث يسوع فقط عن إعطاء المال، لكنه يتحدث عن مساعدة الآخرين على نطاق أوسع بكل الطرق. وهذا يتضمن إعطاء المال والوقت والانتباه وما إلى ذلك.

لا تعلن عطاءك للآخرين

الأسلوب الخاطئ للعطاء يتمثل في إعلانه أمام الآخرين. يرسم يسوع صورةً تثير الضحك لأناس يستأجرون شخصًا يصوِّت أمامهم بالبوق، مُعلنين «هلم انظروا ما قد فعلنا».

بالطبع سيعلن القليلون عن عطائهم بهذه الصورة الصارخة، لكن معظمنا يعلن عن عطائه بصورة أكثر ذكاء. ربما يكون «اشتراكنا في الصلاة والتسبيح» هو الإصدار الحديث لبوق القرن الأول. إن مبدأ الملكوت واضح

وصريح وهو «لا إعلان للآخرين». إن اتبعنا هذا المبدأ، فقد حصلنا على المكافأة المَرجوَّة.

لا تعلن عطاءك لنفسك

يقول يسوع أيضًا: «فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُك. لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ». مما يعني أنه لا يجب حتى أن نعلن عطاءنا لأنفسنا – أي يجب ألاَّ ندون ملاحظة بما فعلنا ونحفظه في ذاكرتنا. ينبغي ألاَّ نحتفظ بحساب داخلي لما فعلناه للآخرين ولله.

يجب علينا فقط أن نتصرف كيفما يحركنا الله ويقودنا، ثم ننسى ما فعلناه بعد ذلك. يجب أن تكون لدينا محبة نحو الله والآخرين لدرجة تجعل لا وقت لدينا لنفكر في أنفسنا. هذه طريقة عملية للتعبير عن كوننا مساكين بالروح وودعاء، أمواتًا عن ذواتنا. والحقيقة الرائعة هي أن الآب يرى ما نفعله في الخفاء ويحفظه كي يكافئنا عليه.

الصلاة بحسب الله:

يتعلق المثال الثاني الذي أعطاه يسوع عن الحياة الروحية في الملكوت بالصلاة. يوضح يسوع لتلاميذه في (متى٦: ٥–١٥) كيف تكون صلاتهم حقيقية. يستخدم يسوع هنا الكلمة اليونانية «proseuchomai» وهي أكثر الكلمات اليونانية شيوعًا للتعبير عن معنى الصلاة، كي يوضح للتلاميذ أنه يتحدث عن الصلاة بمعناها الواسع.

لا تستعرض في الصلاة

مرة ثانية يقارن يسوع بين الطريقة الصحيحة والطريقة الخاطئة لعبادة

الله. تركِّز الطريقة الخاطئة للصلاة على جذب الانتباه للمُصلِّي، ولا تركِّز على من تُقدَّم له الصلاة.

يرسم يسوع صورةً لمن يصلُّون بطريقة تجعل الآخرين يعرفون أنهم أناس مصلُّون. وكما هو الحال مع العطاء، يعلن البعض عن صلواتهم بطريقة صريحة جدًّا، بينما يعلن عنها البعض الآخر بطريقة ماكرة. العديد من التلاميذ يقولون ويفعلون أشياءً تضمن انبهار الآخرين بصلواتهم.

لا يقول يسوع إن هذه الطريقة تلغي صلواتنا أو تمنع سماع **الله** واستجابته لها. لكنه يقول إن استحسان الناس هو كل ما سنجنيه من ورائها. كما سنفقد مكافأة السماء.

لا تضع صلاتك في قالب مُحدَّد

يعلِّمنا يسوع أن نتجنب التكرار الباطل بينما نصلي، وهو لا يشير فقط إلى من يقولون نفس الصلاة مِرارًا وتكرارًا. يتبع كثيرون منا نظامًا صارمًا في الصلاة، مما يعني أننا نسينا لماذا نصلي وما الذي نصلي لأجله.

الصلاة هي تواصل مع **الله** ومحادثة مع الآب. إذا التفتنا إلى شكل الكلمات التي نقولها في الصلاة، فسنفتقد تلقائية العلاقة الحميمة مع **الله** التي تعطيها لنا الصلاة الحقيقة. وهذا خطر ناتج عن الصلوات الطقسية الموضوعة والصلوات التي نقولها بلا تفكير ولا تحضير؛ حيث من السهل هنا أن نتبع عاداتنا ونفقد توجيه الروح.

لا يريدنا **الله** أن نقيس صلواتنا بالوقت الذي نقضيه في الصلاة أو بنوع الكلمات التي نستخدمها أو بالطريقة التي نصلي بها أو بطول صلاتنا. لكن

إذا صلينا في الخفاء كما يأمرنا **الله**، فسيستجيب **الله** صلواتنا وسيكافئنا الآب.

ليكن هدفك التقرُّب إلى اللـه

تبدأ طريقة يسوع الصحيحة لعبادة **الله** بالصلاة بإدراك أننا نتقرب بها إلى **الله**. عندما يكون لهذا الهدف السيادة، سيحدث كل شيء حسبما هو مُرتَّب له.

يقول يسوع في (عدد٦) إنه ينبغي أن نركِّز على شخص **الله** وننسى كل شيء آخر. إننا غير مُطالَبين أن نغلق حرفيًّا على أنفسنا. لكن المقصود هو أن نغلق على كل أفكارنا حول أنفسنا كي نركِّز بالتمام على تواصلنا مع **الله**. عندما يَنصَب تركيزنا على شخص **الله**، سنعرف أننا نستطيع أن نقترب إليه في ثقة مطالبين بكل الوعود الكتابية عن الصلاة. يقدم لنا الجزء الأول من سلسلة «سيف الروح» بعنوان «الصلاة الفعَّالة» صورةً كتابيةً كاملةً عن الاقتراب من **الله** في الصلاة وعن أنواع الصلاة المختلفة.

اتبع مثال يسوع

تعطي (الأعداد٩–١٣) إطارًا عامًا للصلاة وليس صلاة ثابتة نصليها مِرارًا وتكرارًا. أخبرنا يسوع ألاَّ نكرر أنفسنا في الصلاة. ومع ذلك يكرر بعض المؤمنين هذه الصلاة دائمًا.

لا يريدنا يسوع أن نصلي كالمرائين بالطريقة التي وصفها في الأعداد من ٥ إلى ٧. كما أنه لا يريدنا أن نصلي كي نحصل على مدح من الناس، ولا أن نصلي على الملأ صلوات مُطوَّلة. كما أوضح أن **الله** الذي نصلي إليه يعرف كل احتياجاتنا مسبقًا لذلك لا يحتاج أن نشرح له ظروفنا.

لكنه أرادنا أن نصلي «هكذا»، فالصلاة الربانية هي نموذج الصلاة الذي قدمه لنا. إنها كالهيكل العظمي الذي علينا أن نكسوه نحن باللحم. وعندما نصلي، نقدم من خلال النقاط التي تتناولها التفاصيل الخاصة المتعلقة بموقفنا نحن.

- **أبانا**

إنها صلاة شخصية وجماعية في ذات الوقت. إنها شخصية في الأساس، ومع ذلك تستخدم الضمير الدال على الجمع. وهي تذكِّرنا بأن نتَّحد مع بعضنا البعض عندما نصلي.
نفهم من هذه العبارة أنه عندما نصلي، علينا أن نذكِّر أنفسنا بعلاقتنا مع **الله** من خلال الإيمان بالمسيح، وكذلك بعلاقتنا مع الآخرين. علينا أن نخبر **الله** في الصلاة ماذا تعني هذه الأبوة لنا وأن نشكره من أجلها.

- **الذي في السماوات**

السماء هي مسكن **الله**. يجب أن ندرك عندما نصلي أن **الله** على عرشه متحكِّم في كل شيء. ويمكننا أن نطلب منه أن يساعدنا كي ندرك عظمته وحضوره أكثر.

- **ليتقدس اسمك**

تذكِّرنا هذه العبارة أنه علينا أن نصلي كما صلَّى يسوع في (يوحنا١٧)، أي أن نسأل **الله** أن يعلن مجده واسمه القدوس بطرق معينة. إن **الله** أب صالح يُسَر بأن يعطينا عطايا حسنة. وهو يعلن عن صفاته من خلال أسمائه المتعددة.
من الجيد عندما نصلي أن ندعو **الله** بالاسم الذي يناسب صلاتنا. على سبيل المثال: الشافي، المُعطي، المُخلِّص، المُرشِد، الخالق، الراعي وهكذا.

- ليأتِ ملكوتك

تذكِّرنا هذه العبارة أن نصلي من أجل أن يثبت **الله** مُلكه بتوسيع دائرة سلطانه، بينما يحني الناس ركبهم سجودًا ليسوع المسيح، وبينما نخضع نحن لمُلك المسيح. عندما نطلب من **الله** أن يؤتي ملكوته، فنحن نطلب منه تنفيذ إرادته في مواقف حياتنا التي نصلي لأجلها.

- لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض

عندما يأتي ملكوت **الله** تصبح أحوال السماء هي أحوال الأرض. بالطبع لن يحدث هذا بصورة كاملة إلا عندما يأتي الملكوت في شكل إعلانه النهائي. لكن علينا في الوقت الحالي أن نصلي كي تتحقق مشيئة **الله** المُعلَنة فيما يهمنا هنا على الأرض.

علينا أن نشكر **الله** من أجل أنه يريد أن ينفِّذ مشيئته هنا على الأرض. وعلينا أن نثق أن هذا سيحدث بينما نصلي.

- خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

توضِّح هذه الجزئية أنه ينبغي أن نصلي من أجل احتياجاتنا المادية اليومية، فالله يريد أن يحصل أولاده على كل ما يحتاجونه. لكن علينا أن نفعل كل ما بوسعنا كي نحصل على ما نريد.

كما علينا أن نصلي من أجل الأمور التي لا حول لنا ولا قوة فيها. حينئذ سنختبر حقيقة أن **الله** يسدِّد الاحتياجات عندما نصلي، وعندما نقوم بدورنا بفعل ما ينبغي علينا فعله.

- اغفر لنا ذنوبنا

نحتاج أن نصلي من أجل المغفرة الروحية من قِبَل أبينا السماوي. كما نحتاج أن نصلي من أجل المغفرة المادية من قبل دائنينا على

الأرض الذين لا يعرفون الرحمة والعدل[1]. لقد حصلنا على المغفرة القضائية لأننا مؤمنون مُخلَّصون. ومع ذلك نحتاج إلى تطهير وتنقية يومية كي نحافظ على علاقتنا الشخصية مع **الله**.

كما هو الحال مع الخبز اليومي، نحصل على مغفرة الذنوب بالصلاة وبفعل ما ينبغي علينا فعله. ينبغي علينا أن نصلي فقط من أجل الأمور التي لا نستطيع تحقيقها لأنفسنا كي يسدد **الله** الاحتياج أو كي يساعدنا على توفيره من خلال ما يتيحه لنا من مصادر.

- كما نغفر نحن أيضًا للمُذنبين إلينا

يقول يسوع صراحةً إن الآب يمنع المغفرة عن الذين يرفضون أن يغفروا للآخرين.

- ولا تُدخِلنا في تجربة

تعلمنا هذه العبارة أن نسأل **الله** أن يحفظنا من السقوط في الخطية، وأن يساعدنا كي ننتصر على التجارب التي نمر بها في حياتنا.

- لكن نَجِّنا من الشرير

يعتمد الكثيرون عند ترديد الصلاة الربانية على ترجمة (The Great Bible) وهي أقدم من ترجمة (King James). لكن هذه الترجمة تخطئ في صياغة هذه العبارة حيث تقول «نَجِّنا من الشر» (deliver us from evil) وليس «من الشرير» (from the evil one). إننا جميعًا نواجه معارك روحية ونحتاج أن نصلي كي يخلِّصنا **الله** من هجمات العدو.

---

١ معنى عبارة «اغفر لنا ذنوبنا» في اللغة الإنجليزية هو (forgive us our debts) وعندما يقول الكاتب أنه يجب أن نصلي من أجل المغفرة المادية من قِبَل دائنينا فهو يعتمد على معنى كلمة (debts) في الإنجليزية والتي تعني «ديون» بالطبع لا يظهر هذا المعنى في الترجمة العربية التي تستخدم كلمة «ذنوب». وإن كانت الإنجليزية تستخدم كلمة «دين» فالمقصود هو مديونيتنا بالذنوب وليس بالمال.

- لأن لك المُلك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين

تنتهي صلاة يسوع النموذجية بعبارة مأخوذة من (١أخبار الأيام٢٩: ١١-١٢) وهي عبارة تفيض بالتسبيح والنصرة. يمكننا إذًا أن نختم صلاتنا بأن نشكر **الله** على قوته ونصرته في مواقف مُعيَّنه صلينا إليه من أجلها.

الصوم بحسب الله:

يرتبط المثال الثالث الذي يعطيه يسوع عن الحياة الروحية في الملكوت بالصوم. وهو يوضِّح لتلاميذه في (متى٦: ١٦-١٨) كيف يكون صومهم صحيحًا. تعلَّق مثال يسوع الأول بالطريقة التي نصنع بها الخير مع الآخرين. وتعلق المثال الثاني بالطريقة التي نتواصل بها مع **الله**. أما المثال الثالث، فيتعلق بالطريقة التي ندرِّب بها أنفسنا في حياتنا الروحية. على الرغم من أن كلمات يسوع تتعلق بالصوم – أي الامتناع عن الطعام لتكثيف الصلاة – إلا إنها ترتبط أيضًا بالطريقة العامة التي نتعامل بها مع أنفسنا.

تنص شريعة العهد القديم على صوم فَرضي واحد فقط يصومه الشعب كل سنة في يوم الكفارة. نقرأ عن ذلك الصوم في (لاويين١٦: ٢٩-٣٤ و٢٣: ٢٧-٣٢). كما يوضح (زكريا٨:١٩) أن أربعة أصوام أخرى فُرضت بعد عودة اليهود من السبي.

نعلم أن يسوع أكمل أو تمم الناموس والأنبياء. وهذا يعني أنه لا يوجد الآن سبب يجعل الصوم فرضًا مُشرَّعًا. ليس معنى ذلك أنه ليس علينا أن نصوم بتاتًا. بل يعني أنه ليس علينا أن نصوم إتمامًا لفرض أو ممارسةً لعمل من أعمال التقوى والصلاح. لم يَدِن السيد المسيح الصوم في (متى٥-٧)، لكنه أدان الصوم لأغراض خاطئة.

لا تَصُم من أجل كبح الشهوات الجسدية

ليس للصوم قيمة كوسيلة لمنع السقوط في الخطية وفي أسر رغبات الجسد، فالصوم لا يجعلنا مقدَّسين. يمكننا التغلب على الجسد فقط عن طريق قوة الروح، عندما نصلب أهواءه المرتبطة بحياتنا القديمة غير المسيحية. مثل هذا النوع من الصوم هو في الواقع إرضاء للجسد الذي يُسَر باستعراض ما يُسمُّونها «روحانيات» أمام الآخرين، وهذا أمر يدينه يسوع.

لا تَصُم من أجل تزكية النفس

من الغباء أن نعتقد أنه بالصوم أو بأي عمل آخر يمكننا الحصول على نعمة **الله** وبركته واستجابته لصلواتنا. إن نعمة **الله** هي نعمة مجانية، وهو يستجيب صلواتنا فقط من خلال شخص يسوع المسيح وبسبب عمله الكامل على الصليب.

لا تَصُم من أجل تعظيم الذات

كان الفريسيون يميلون للاستعراض وجذب انتباه الآخرين بصومهم وبكل ممارساتهم الدينية على وجه العموم. وكانوا يُجبرون الناس على النظر إليهم بصومهم يومين في الأسبوع. فكان صومهم ما هو إلا استعراض روحي. لكن يسوع أدان مثل هذا الصوم وتحدث عن مجازاة من يصومون انطلاقًا من دوافع حقيقية. لو كان هدفنا من الصوم هو جذب انتباه الآخرين إلينا، فسوف نفقد مكافأتنا السماوية.

الصوم من أجل التعبير عن الندم والحزن لارتكاب خطية ما

نرى في (٢صموئيل١: ١١-١٢) أن الصوم هو تعبير عن الحزن والأسى. يمكن أن يأتي الصوم كرد فعل بشري طبيعي، ويمكن أيضًا أن يكون طريقة للمثول أمام **الله** وللتعبير عن الأسف العميق بشأن بعض الأشياء كما في

(نحميا١: ٤). الصوم في هذه الحالة مسموح به ومقبول وله بركاته التي وردت في (متى٥: ٤).

يمكننا أن نتصرف بنفس الطريقة إزاء أي موقف خطير متعلِّق ببلدنا أو بحالة الكنيسة أو بنا كأفراد. يرتبط هذا النوع من الصوم في الكتاب بالنوح على ارتكاب خطية ما وبإذلال النفس أمام **الله** طلبًا لرحمته.

إن الصوم كفعل لا يُعتَبَر تكفيرًا عن الخطية، لكنه ينبع من الشعور بمدى خطورة ما ارتكبناه من خطية.

الصوم للتعبير عن الجدية في التعامل مع الله

يرتبط الصوم بالصلاة في كل الكتاب المقدس، فلا يكفي أن نصوم فقط؛ حيث إن الهدف من الصوم هو تكريس وقت أطول للصلاة لإظهار جدية الأمر الذي نصلي من أجله.

فعندما نصوم، كأننا نقول **لله**: «يا رب إن هذا الأمر الذي جعلني أجثو على ركبتي أمامك هو أهم بكثير من احتياجات جسدي الطبيعية للطعام والشراب». تكمن قوة الصوم في أننا نقف أمام **الله** بمستوى عميق من الجدية. ويُقدِّر **الله** هذا التصميم الذي نقترب به إليه. يأخذ تصميمنا هذا بُعدًا جديدًا في الصوم. يتحدث (إشعياء٥٨) عن قيود روحية وجسدية واجتماعية تحلها قوة الروح القدس بالصوم.

الصوم من أجل البركة

وعد يسوع أن الآب سيجازي من يطلب وجهه بصدق وتصميم، ونقرأ في (متى٦: ١٨) أن هذه المجازاة تتطلب الصوم بالطريقة التي رسمها **الله**.

يتمتع الصوم بقوة تقربنا من **الله** أكثر، إن كان نابعًا من قلب نقي وإن كانت دوافعه مقدَّسة. يؤكِّد (يعقوب٤: ١٠) و(إشعياء٤٠: ٣١) على هذا المبدأ.

إذا كان هدفنا الأساسي هو إرضاء **الله** وتمجيده، فلن نجد صعوبةً في فهم مبدأ الصوم. كما لن نقلق بشأن نظرة الآخرين لنا، أو نشعر باحتياجنا للسلوك مثل المرائين في (عدد١٦) كي نبهر الآخرين بروحانياتنا.

عندما نعيش تحت مُلك **الله**، لن نحتاج إلى قواعد تُخبرنا كيف نصوم أو ماذا نلبس أو كيف نصلي وما إلى ذلك؛ فإن **الله** نفسه سيتحدث إلينا مباشرةً وسيقودنا في كل ما نفعل. عندما يكون **الله** هو شغلنا الشاغل – أي يكون اهتمامنا هو أن نرضيه ونعيش باستقامةٍ أمامه – فسنعرف أننا في أيد أمينة. والذي يرى كل ما نفعله في حياتنا الروحية في الخفاء، سيجازينا علانيةً في اليوم العظيم الآتي.

الجزء السابع

الحياة المادية في الملكوت

يرسم يسوع في (متى٥) خطوط شخصية التلميذ الحقيقي، ويصف كيف عليه أن يسلك في المجتمع. كما يرسي المقاييس التي يتوقع من تلاميذه أن يعيشوا بمقتضاها. أما في (متى٦) فيقدم صورةً عن الحياة وفقًا لمبادئ ملكوته في العالم. وقد لاحظنا أن الفكرة الرئيسية في الإصحاح السادس هي علاقتنا مع الآب، حيث نعيش في العالم تحت مُلكه. بالإضافة إلى ذلك، تناولنا في الجزء السادس من هذا الكتاب الطريقة التي يتحدث بها (متى٦: ١–١٨) عن الجوانب الروحية لحياتنا. هناك سؤال علينا أن نسأله لأنفسنا باستمرار فيما يتعلق بحياتنا الروحية وهو: «من الذي أحاول أن أرضيه أو أؤثر عليه؟» و «ما هو هدفي؟» كما أن هناك حقيقة علينا أن نتذكرها دائمًا وهي أن **الله** الذي يرى كل شيء يراقبنا ويرى كل ما نفعله ونفكر به في الخفاء.

ننتقل الآن لفهم ما يقوله (متى٦: ١٩–٣٤) عن الجانب المادي من حياتنا اليومية العادية. تعطينا هذه الأعداد سؤالاً يجب أن نوجِّهه لأنفسنا فيما يتعلق بحياتنا المادية وهو: «من هو سيدي؟» و «من أخدم؟» كما تؤكِّد على حقيقةٍ علينا أن نتذكرها دائمًا، وهي أن **الله** لا يقبل أن ينافسه أحد في سلطانه على حياة رعاياه.

كذلك توضِّح هذه الأعداد أن **الله** يريد الولاء التام والثقة المُطلَقة ممن يعيشون في ملكوته. يتعلق هذا بقضايا الربوبية، الملكية، الحكومة وجميعها مهمة جدًّا للتلمذة. يتناول يسوع مشكلتين أو إغراءين:

- توضح الأعداد من ١٩ إلى ٢٤ أنه لا ينبغي أن نخدم العالم أو نحبه.
- تقول الأعداد من ٢٥ إلى ٣٤ إنه لا ينبغي أن نقلق بشأن العالم.

من المهم أن نرى كيف يعالج يسوع المشكلتين في إطار علاقتنا مع الآب.

الله أم شيطان الجشع؟

يقول يسوع لتلاميذه في (متى٦: ٢٤) «لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا **اللَّهَ** وَالْمَالَ». الكلمة الآرامية التي يستخدمها يسوع هنا بمعنى «المال» أو «الثروة» هي «Mammon». استخدام يسوع لهذه الكلمة هنا يعني أن المال ينافس **الله** على عواطفنا. وهو القوة التي تحاول أن تسيطر علينا وتستعبدنا في حين أنه ينبغي أن نخضع **لله** فقط.

هذا لا يعني أن العملات المعدنية والورقية هي شر، لكنه يعني أن هناك قوات روحية خلف الشكل المادي للثروة. تعدنا هذه القوات أن الثروة والغِنى هما الوسيلة للسلطة والمنصب والوجاهة الاجتماعية والسيادة والحماية. تتمتع هذه القوات المُظلِمة بقوة تقبض على حياة الكثيرين. لكن لا يجب أن يكون لها أي سلطان على حياة التلاميذ. نفهم من يسوع أن قوة المال هي إله كاذب وعلينا أن نتحول بعيدًا عنه كي نعبد الإله الحي الحقيقي. إن رفضنا الدائم للمال في حياتنا المادية هو مطلب أساسي للتلمذة.

تعطي الثروة الشعور بالأمان، وهي ظاهريًّا تعطي الحرية والسلطة والاطمئنان، كما يسعى الناس إليها في كل مكان بكل قوة. لكن **الله** يريد من تلاميذه أن يجدوا أمانهم وحريتهم وقوتهم واطمئنانهم في شخص المسيح وحده. كما يريد منهم أن يطلبوا المسيح وكنزه السماوي بكل ما لديهم من قوة. يقارن يسوع في (الأعداد١٩–٢١) بين تخزين الكنوز على الأرض

وتخزينها في السماء، ويوضح أن الكنز الأرضي يمكن أن يفسد ويُسرَق بينما الكنز السماوي هو دائم ومحفوظ. ترينا تعاليم يسوع الأعم عن الثروة والمال كيف نطلب الكنز الأفضل ونقاوم قوة المال.

مطالب التلمذة

ذكرنا مِرارًا وتكرارًا أن يسوع يطلب من الناس أن يتركوا الكل ويتبعوه. ترك المال هو جزء من ترك الكل لاتباع يسوع، وجزء من التلمذة ليسوع والخدمة معه. على سبيل المثال:

- ترك لاوي عالم المال ليصبح تلميذًا ليسوع (لوقا٥: ٢٧–٢٨).
- ترك سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا عملهم والصيد الرائع الذي حصلوا عليه ليصبحوا تلاميذ ليسوع (لوقا٥: ١–١١).
- وجد الشاب الغني –حافظ الناموس– أن إغراء المال أقوى من الوعد بالميراث السماوي (لوقا١٨: ١٨–٢٣).
- التعليمات التي أعطاها يسوع للاثني عشر عندما انطلقوا للخدمة لم يكن بها أي أثر للمال (متى١٠: ٧–١٠).
- كما أعطى للاثنين والسبعين نفس التعليمات (لوقا١٠: ١–١٢).

الكنز السماوي والكنز الأرضي

يعطي يسوع تلاميذه في (متى٦: ١٩–٢١) حرية الاختيار الصريح بين الكنز الأرضي والكنز السماوي. ويشرح في (٦: ٢٤) «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا **اللهَ** وَالْمَالَ».

من الحكمة بالطبع أن يختار التلاميذ الكنز السماوي، لكن قوة المال تجعل من الصعب علينا أن نقاوم إغراء السعي وراء الكنز الأرضي. يشرح يسوع في

(لوقا١٢: ٣٣–٣٤) كيف نجمع كنزنا السماوي. كما نفهم أن أعمال العطاء التي يصفها من شأنها أن تدمر قوة المال في حياتنا. إن الإصحاح السادس عشر من بشارة لوقا هو إصحاح مهم جدًّا عن المال والغِنَى الحقيقي. إننا مدعوون بدلاً من أن نُستعبّد للمال أن نستخدم أموالنا بطريقةٍ تجعلنا ندخل «المسكن الأبدي» ونحصل على «الثروة الحقيقية».

لقد أُعتِق التلاميذ الحقيقيون الخاضعون لحكم **الله** من عبودية المال. وهم مدعوون لإثبات ذلك من خلال الأمانة في الطريقة التي يديرون بها وكالتهم، وكذلك في العطاء بسخاء ومحبة **الله**. يشجِّعنا يسوع أن نعطي مثل **الله** في (متى٥: ٤٢) و(لوقا٦: ٣٠–٣٨). تحدد هذه النصوص الأعمال التي يكافئها **الله** بالكنز السماوي.

العين البسيطة والعين الشريرة

يبدو لنا (عددا ٢٢–٢٣) للوهلة الأولى وكأنهما يعترضان تعاليم المسيح عن المال. كما يبدو (عدد٢٤) في غير مكانه الصحيح، فمن المفترض أن يأتي مباشرةً بعد (الأعداد١٩–٢١). لكننا نعلم أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. يرد (عدد٢٤) بعد (عددي٢٢ و٢٣) كما يرد بعد (الأعداد١٩–٢١) لأن قول يسوع «لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا **اللَّهَ** وَالْمَالَ» يتعلق بهذين العددين كما يتعلق بالعددين السابقين لهما.

تركِّز (الأعداد١٩–٢١) على تكديس المال، ووضع قلوبنا على تجميع الثروة والممتلكات المادية، والاتجاه القائل «هذه ملكي فلأفعل بها ما أريد». أما (عددا ٢٢ و٢٣) فيركِّزان على رؤية المال من خلال رؤية الأشياء التي نريدها أو نعتقد أننا نحتاج إليها. وكذلك على رؤيته بعقول ممتلئة بأمور المال لدرجة أنه لا يوجد بها ولو مساحة صغيرة لأمور **الله**.

إننا نخدم المال بوضع ثقتنا في الثروة وفيما نملك، وكذلك بالتفكير المستمر في الأمور المادية وبرؤيتها بعين عقولنا، حيث نحلم دائمًا بالتغيير الذي سيطرأ على حياتنا إن امتلكنا هذا أو ذاك. هذه الأعداد هي الطريقة التي وصف بها يسوع نظرتنا للأمور المادية. يقول يسوع إن هناك طريقتين للنظر إلى كل شيء في العالم:

- العين البسيطة – هذه هي عين التلاميذ التي ترى الأشياء بطريقة **الله**، التي ترى كل شيء على حقيقته دون ازدواج في الرؤية.
- العين الشريرة – هذه هي العين التي لا ترى الأشياء بوضوح. بل تراها دائمًا ملونة بالأهواء وبالشهوات العالمية.

يقول يسوع في (عدد٢١) إن قلوبنا توجد حيث توجد كنوزنا. وهو يوضح هنا أن عقولنا تتأثر بالكنز الذي يقدمه لنا المال. إن نظرتنا وتوجُّهنا الأخلاقي يشوهه أحيانًا فكر يضفي قيمةً كاذبةً على الأشياء المادية. وهذا فكر يتجه إلى قوة المال وليس إلى **الله** للحصول على الأمان والأمل. ما يقوله بولس في (٢تيموثاوس٤: ١٠) عن رفيق له في الخدمة، يبين لنا كيف يمكن أن تؤثر الأمور المادية على خدمتنا. للأسف، لا يدرك الكثير من التلاميذ هذه الحقيقة؛ لأن عيونهم ليست حادة وصافية بما يكفي.

يحذِّر يسوع تلاميذه في (لوقا٢١: ٣٤–٣٦) من خطورة اهتمامات العالم اليومية التي تلهي التلاميذ وتُبعِدهم عن اتباعه بالقرب الكافي. إن الكنوز الأرضية قوية لدرجة أنها تسيطر بالتمام على شخصية الإنسان. يستخدم العدو هذه الكنوز لينتزع قلوبنا وعقولنا وإرادتنا.

قلنا فيما سبق إن ما نفعله هو نتيجة لما نفكر به. والآن، نرى أن كنزنا هو ما يشكِّل فكرنا. تنطبق هذه الحقيقة على كل جوانب حياتنا. كنزنا – أي

الشيء الذي له أعظم قيمة وتقدير في حياتنا – هو الذي يحدِّد الطريقة التي نفكر ونعمل بها.

محبة الله وكراهيته

ما يقوله يسوع في (متى٦: ٢٤) هو أكثر تصريحاته خطورة: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا **الله** وَالْمَالَ». يطالبنا كل من **الله** وشيطان محبة المال والكنوز الأرضية بالولاء المُطلَق. تريد الأشياء العالمية المادية أن ندين لها بالولاء التام. تريدنا أن نضعها فوق كل شيء في حياتنا، ويطالبنا **الله** بالمثل.

توضِّح لنا كلمات يسوع في (لوقا١٨: ٢٢) و(متى١٠: ٣٧) المطالب الكلية للملكوت. يجب علينا أن نخضع خضوعًا كليًّا **لله** وحده. ولا يجب أن نعطي أي شيء ولو مكانًا صغيرًا في قلوبنا ونسمح له بمنافسة **الله** على سلطانه علينا. فالأمر كله يتلخص في «إما... أو...». وأي حل وسط غير مقبول. لا يدرك معظم التلاميذ أن المادية إنما هي ضد **الله**. يعلم هؤلاء التلاميذ أن بعض الأنظمة الاقتصادية التي تعادي **الله** بصورة واضحة لا تتوافق والمسيحية. لكنهم لا يفهمون الحقيقة الكتابية التي تقول إن كل أشكال النزعة المادية إنما هي إلحادية في الأساس.

يقول يسوع إنه إذا كان في قلبنا أي أثر لمحبة الماديات، فإننا في الواقع نكره **الله**. هناك الكثيرون والكثيرون الذين يعتقدون أنهم مسيحيون، حيث يعبدون **الله** ويصلون ويقرأون الكتاب المقدس، ويشهدون إلى آخره. لكنهم في الوقت نفسه يعيشون من أجل كنوز أرضية. يعلق (عدد٢٣) قائلاً: «فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ».

إن قصة الأشوريين في (٢ملوك١٧: ٢٤–٤١) هي مثال مُدهِش لما يفعله العديد من التلاميذ اليوم. لقد خاف الأشوريون **الله** الحقيقي خوفًا صادقًا. لكنهم استمروا في عبادة ألهتهم، وحاولوا الدمج بين اتباع **الله** واتباع ألهتهم الوثنية «إلى هذا اليوم».

لا ينبغي أن نندهش عندما نصل إلى خاتمة الموعظة على الجبل في (متى٧: ٢١–٢٣). إنها النتيجة الحتمية لكلمات يسوع في (٦: ٢٤). إننا إما أن نخدم **الله** أو نخدم المال. فإما **الله** ولا مال أو بعض المال دون **الله**.

يعتبر مؤمنون كثيرون أن حيوية حياتهم الروحية هي مقياس تكريسهم **لله**. لكن يسوع يهتم أيضًا بالجانب المادي لحياتنا. يمكننا أن نصلي ونصوم ونساعد الآخرين. ومع ذلك نظل منبهرين بالمال والكنز الأرضي. لكن عندما نضع **الله** وملكه في المرتبة الأولى دائمًا، فلن يكون لدينا وقت لأمور المال وشيطانه.

القلق أم الإيمان؟

يؤكد يسوع في (متى٦: ١٩–٢٤) على خطورة تكديس كنوز على الأرض وخطورة الحياة من أجل الممتلكات المادية بأي درجة. أما في (الأعداد٢٥–٣٤) فيؤكد على عدم جدوى القلق بشأن الأمور الأرضية.

ربما لا يمتلك بعض التلاميذ الكثير من الثروة، ومع ذلك يعيشون في قبضة المال؛ لأنهم يقلقون دائمًا بشأن المشاكل المادية في حياتهم. لا يمانع العدو أن نقلق بشأن الثروة أو أن نكدسها، فالأمران سيان بالنسبة له. وكل ما يهمه هو أن يجعل عقولنا مُركَّزةً على المال لا على **الله**. إن هدف العدو الوحيد هو أن يشتت تركيز التلاميذ بعيدًا عن **الله**، وسيستخدم كل قوته ليصل إلى هذا الهدف.

يحاجج يسوع تلاميذه في هذه الأعداد. وهو يستخدم ثلاثة براهين يقدم كلاً منها بقوله «لذلك لا تهتموا» (الأعداد٢٥، ٣١، ٣٤).

لا تشتّتوا أذهانكم

تصيغ معظم ترجمات الكتاب المقدس الفعل اليوناني «merimnao» بطرق مختلفة: «لا تفكروا في» أو «لا تقلقوا» أو «لا تشغلوا بالكم». لكن الفعل «merimnao» مشتق من كلمة «merizo» بمعنى «مشاركة شيء مع آخر» أو «الاشتراك مع». والمعنى الحرفي للفعل «merimnao» هو «تشتيت الذهن».

يخبر يسوع تلاميذه ألاَّ تكون أذهانهم مُشتَّتة، تفكر اليوم في شيء وغدًا في شيء آخر. ويحذِّرهم من ألا تُركِّز أذهانهم بالكامل على **الله**. يخبرنا يسوع ألاَّ نتشتَّت بعيدًا عن **الله** ومُلكه وشخصه الموثوق فيه. يوضِّح (لوقا١٠: ٣٨-٤٢) هذا الأمر بقوله إن مرثا كانت «مرتبكة». وقد أخبرها يسوع أنها تهتم وتضطرب لأجل أمور كثيرة. لكن أختها كان لها هدف واحد هو سماع كلمات يسوع.

يحذِّرنا يسوع في (متى٦: ٢٥-٣٤) من التشتُّت بعيدًا عن الهدف الأساسي لتلاميذ المسيح بالقلق على أمور الحياة اليومية المادية. لا يقول يسوع إنه لا ينبغي أن نفكر أبدًا في المأكل والملبس والصحة. لكنه يحثنا على ألاَّ ندع هذه الأمور تشتتنا بعيدًا عن التركيز على كلمة **الله**.

يعطي يسوع أربعة أسباب لتحريضه الأول «لا تهتموا» في (الأعداد٢٥-٣٠).

١. هناك المزيد عن الحياة

أولاً: يذكِّرنا يسوع أن حياتنا أهم بكثير من الطعام الذي نأكله والملابس

التي نلبسها. كل هذه أمور سطحية ينبغي ألاَّ تثقلنا وتقلقنا؛ حيث إن هناك أمورًا أهم بكثير.
ينبغي أن نتذكر أن **الله** أعطانا الحياة، وهو المصدر الوحيد لكل شيء نمتلكه ولكل ما نحن عليه. إنه المعطي الوحيد لاحتياجاتنا اليومية من طعام وملبس وصحة. ولأنه هو الذي خلقنا، وهو الذي يحفظنا، علينا ألا نقلق من كوننا نملك القليل.
مثل الطيور، علينا أن نجد طعامنا ونبني أعشاشنا. لكن – مثل الطيور أيضًا – يهتم **الله** بأن لدينا ما نحتاجه. لا يشرح يسوع كيف يعطي **الله**. لكنه يقول إن **الله** يعطي.

٢. اللـه هو أبونا السماوي

يشير يسوع في (عدد٢٦) أن **الله** يهتم بكل الخليقة ويسدد احتياجاتها، ونحن جزء من الخليقة. ثم يذكِّر تلاميذه أن الخالق هو أيضًا أبوهم السماوي. ليس هناك ما يدعو للقلق؛ لأن **الله** يسدد احتياجات كل خليقته. لكن التلاميذ ليسوا مجرد جزء من الخليقة. بل هم أناس لهم علاقة شخصية مع الخالق، حيث إنهم أبناؤه وهو أبوهم. لذلك لا يوجد ما يستدعي القلق على الإطلاق. إذا كان **الله** يهتم بالحيوانات، أيُعقل أن ينسى أبناءه؟!

٣. لا فائدة من القلق

يذكِّر يسوع تلاميذه في (عدد٢٧) بعدم جدوى القلق، القلق والاهتمام لن يجلبا لنا شيئًا. إن القلق مجرد مضيعة للوقت.
لا نعرف إن كان قصد يسوع هو زيادة الطول أم زيادة العمر، لكن القلق لا يغيِّر أيًّا منهما. إن حياتنا هي عطية من **الله**. هو بدأها وهو سينهيها وهو الذي يحافظ عليها. إننا بين يديه كلية. **الله** أبونا يقف خلف كل شيء. لذا لا نحتاج أن نقلق ولا يجب أن نُضيِّع حياتنا في قلق لا طائل منه.

٤. القلق والاهتمام دليلان على قلة الإيمان

يقول يسوع في (عدد٣٠) إن التلاميذ الذين يقلقون بشأن أمور الحياة المادية هم تلاميذ قليلو الإيمان. وهذه هي مشكلتهم والسبب الرئيسي لكل قلقهم. لا يتهم يسوع هؤلاء التلاميذ بعدم الإيمان لأنهم تلاميذه ولأنهم يستمعون إلى كلماته؛ فإنهم يؤمنون بيسوع بما فيه الكفاية ليتبعوه، لكنهم لا يؤمنوا به بما فيه الكفاية لئلا يقلقوا.

يثق تلاميذ كثيرون أن **الله** قد فعل كل شيء ليعطيهم الخلاص في الحياة الأبدية. لكنهم غير مقتنعين بأن **الله** يهتم بحياتهم الأرضية. يتمتع هؤلاء بالإيمان الروحي، لكن ليس بالإيمان المادي. كما لا يدركون أن **الله** مهتم بكل تفاصيل حياتهم. لقد قسموا حياتهم إلى قسمين: روحي ومادي. وهم يثقون أن **الله** يعتني بالقسم الروحي. أما القسم المادي فلا علاقة له به. لكن الحقيقة هي أن كل الحياة روحية إن كنا نعيشها في الروح. لا ينبغي أن تأخذ حياة المسيحي بُعدين أحدهما مقدس والآخر علماني؛ لأن يسوع هو رب على كل جزء من حياتنا.

بعد أن شرح يسوع هذه الأسباب الأربعة التي لا تعطي تلاميذه الحق في القلق بشأن احتياجاتهم المادية، انتقل في (الأعداد٣١–٣٤) إلى التحريض الثاني على عدم القلق مؤيِّدًا إياه بثلاث نقاط مهمة.

١. كونوا مختلفين عن الوثنيين

يؤكِّد يسوع باستمرار في كل الموعظة على الجبل أن الملكوت لا يتفق مع العالم، وأن توجُّهات الملكوت ليست هي توجُّهات العالم. يعود يسوع لهذه الفكرة في (عدد٣٢) ويوضح أن التلاميذ عليهم أن يطلبوا أشياءً تختلف عن العالم حولهم.

يقلق أصدقاؤنا وجيراننا بشأن أمور مادية مثل المال والعمل والمسكن

والعطلات والسيارة والمأكل والملبس. لكن يجب علينا أن نختلف عنهم في تفكيرنا وفي كلامنا. إن الفكرة في كل الموعظة على الجبل هي أن حياة الملكوت تختلف تمام الاختلاف عن حياة العالم. وهذا يؤكد النقطة الأساسية التي يتحدث عنها يسوع.

٢. اعلموا أن الله يعلم

يذكِّر يسوع تلاميذه مِرارًا وتكرارًا أن أباهم يرى ويعلم. أبونا يعلم ما نفكر به ويرى ما نفعله ويعلم ما نحتاج إليه. يجب أن تمنحنا هذه الحقيقة راحةً وسلامًا رائعًا. **الله** يعلم أعمق احتياجاتنا ولا يخفى عليه أي أمر. التلاميذ الذين يدركون هذه الحقيقة هم التلاميذ المحرَّرون من القلق والاهتمام

٣. ركِّزوا على الملكوت

(متى٦: ٣٣) هو أحد أكثر الأعداد المحفوظة في الكتاب المقدس: «اطلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ **اللهِ** وبِرَّهُ، وهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ». بدلاً من أن نقلق بشأن الأمور المادية في حياتنا، علينا أن نركز على علاقتنا **بالله**، وعلى خضوعنا لمُلكه الشخصي المباشر، وعلى بره.

هذه العدد ليس موجَّهًا إلى غير المؤمنين كي يصبحوا مسيحيين. إنه موجَّه إلى التلاميذ بشأن كونهم مسيحيين. علينا أن نضع الملكوت أولاً. علينا أن نفكر بشأن علاقتنا **بالله** أكثر من أي شيء آخر.

رأينا في توجُّهات الملكوت أن التلاميذ الذين يجوعون ويعطشون للبر هم الذين يُشبعون. ينطبق نفس هذا المبدأ هنا. التلاميذ الذين يطلبون ملكوت **الله** وبره أولاً هم الذين سيكتشفون – صدفة في الغالب – أنهم يمتلكون كل شيء يحتاجون إليه في حياتهم الأرضية في العالم. العالم يسعى خلف أمور عالمية ولا يجد سوى القلق والخوف. لكن التلاميذ يطلبون **الله** ويجدون السلام والثقة والأمان إلى جانب الاحتياجات المادية.

إيمان للمستقبل

يحتوي (متى٦: ٣٤) على آخر تحريض بعدم القلق، يأخذ يسوع هنا خطوةً للأمام ويتعامل مع القلق بشأن المستقبل. إن لم يستَطِع العدو أن يُغرينا بشأن القلق حول المشاكل المادية التي تواجهنا اليوم، فسيحاول أن يدفعنا نحو الخوف بشأن المستقبل.

يثق تلاميذ كثيرون في **الله** فيما يتعلق باليوم. لكنهم لا يستطيعون الثقة فيه فيما يتعلق بالغد، ويتخيلون كل أنواع المشاكل الممكنة كي يقلقوا بشأنها. وهم دائمًا يسألون أنفسهم: «ماذا لو حدث هذا الأمر؟» و «كيف سأتصرف في هذا الأمر؟» إن كل ما يقوله يسوع في هذا الجزء عن القلق ينطبق على الحاضر كما ينطبق على المستقبل. لا طائل من وراء القلق. **الله** يعلم كل ما نحتاج إليه. علينا أن نتحلى بالإيمان وأن نكون مختلفين وأن نطلب الملكوت – وهكذا.

عندما نقلق بشأن المستقبل، نقيِّد أنفسنا فيما يتعلق باليوم. كل شيء في هذا العالم الساقط المعادي **لله** له صعوبته الخاصة. علينا أن نستمر في طلب **الله** من أجل أن يوجِّهنا ويعطينا القوة في التعامل مع كل الأمور التي يضعها العالم في طريقنا. كما علينا أن نتأكد من عدم تشتت أذهاننا بشأن المستقبل، وخاصة بالقلق بشأن أشياء من الممكن ألا تحدث أو من الممكن أن يتصرف **الله** بشأنها في الوقت المناسب.

علينا أن نقاوم ونرفض الأفكار التي تدفعنا نحو القلق بشأن المستقبل. علينا أن نطلب ملكوت **الله** وبره من أجل اليوم، عالمين أن **الله** الذي نعتمد عليه اليوم هو اليوم وغدًا وإلى الأبد.

الجزء الثامن

الدينونة في الملكوت

رأينا أن الموعظة على الجبل تبدأ بوصف يسوع لشخصية التلاميذ. يستمر يسوع خلال الإصحاح الخامس من بشارة متى في وصف علاقة التلاميذ بالعالم والناموس. ثم ينتقل في الإصحاح السادس إلى وصف حياة التلاميذ في العالم في ضوء علاقتهم بالآب. أما في هذا الجزء من الموعظة (متى٧: ١–٦) فيصف يسوع علاقة التلاميذ بالآخرين.

لا تدينوا:

«الدينونة» هي الفكرة الرئيسية في الإصحاح السابع. يبدأ يسوع هذا الجزء من الإصحاح بقوله الواضح الصريح: «لا تدينوا». ثم يتبع هذا القول بثلاثة أسباب توجب عدم الإدانة.

لا يعني قول يسوع هذا أن التلاميذ يجب ألا يصدروا أي حكم أو يعبِّروا عن أي رأي. لأن (عدد٦) في هذه الحالة يصبح مستحيل التطبيق. لا يمكننا أن نُعرِّف «كلبًا» أو «خنزيرًا» دون أن نمارس بعضًا من إبداء الرأي. كذلك يصبح (عدد١٥) عسير الفهم؛ لأن المبدأ الذي يتحدث عنه يسوع في هذا العدد يتضمن الحكم على الشخص فيما يتعلق بكونه نبيًّا كاذبًا أم لا.

لا يأمرنا يسوع بعدم ممارسة إصدار الحكم أو إبداء الرأي أبدًا، لكنه يتحدث عن الطريقة التي ننتقد أو ندين بها الآخرين. يمنع يسوع هنا إدانة الآخرين بشكل خاطئ. ويحذرنا من تبنِّي موقف ينتقد ويدين الآخرين من منطلق

كوننا أفضل وأكثر برًّا بينما الآخرون محتَقَرون. هذا فكر يُسَر بالانتقاد وينظر إلى كل شيء باحثًا عن الخطأ فيه، ويتمنى الأسوأ دائمًا.

رأينا كيف يهتم يسوع في كل الموعظة بالجبل بتوجُّهاتنا أكثر مما يهتم بأفعالنا. ينطبق نفس هذا الأمر هنا: من المهم جدًّا أن يتَّصف التلاميذ بالسلوك المقدس وتكون لديهم توجُّهات السيد المسيح عندما ينتقدون الآخرين أو يعبِّرون عن رأيهم. يمكننا القول بأن الإدانة تكون خاطئة:

- عندما تصدر بطريقة سلبية انتقادية؛ فإن أي انتقاد هو آثم إن كان هدفه الهدم لا البناء حتى وإن كان نقدًا صحيحًا في حد ذاته.
- عندما تصدر من شخص يعتبر نفسه بارًا. يلتجئ بعض الأشخاص إلى انتقاد الآخرين حتى يوجِّهوا الأنظار بعيدًا عن أنفسهم، ويظهروا وكأنهم بلا عيب حين يضعون اللوم على الآخرين. نرى ذلك في (تكوين٣: ١٢).
- عندما لا تهذبه الرحمة. نعلم أن التلاميذ يجب أن يتَّصفوا بالرحمة. لذلك لا يجب أن يكون انتقادهم للآخرين قاسيًا أو غير متسامح. يجب أن نكون دائمًا إيجابيين وكرماء في الطريقة التي نُقيِّم بها الآخرين ونتحدث عنهم. نرى ذلك في (أفسس٤: ٢، ٣٢) و(فيلبي٤: ٥)
- عندما تكون متحاملة أو متحيِّزة. عادة ما نكون كرماء عندما ننتقد أنفسنا أو ننتقد من نحبهم. لكننا لا نكون هكذا مع الأشخاص الذين لا نقبلهم. إن الإدانة النابعة من تحامل على الشخص المُنتَقَد أو المجموعة المُنتَقَدة هي إدانة خاطئة غير مقبولة (يعقوب٢: ١–٤).
- عندما نصدرها دون ذكر كافة الحقائق. الحقيقة الجزئية تعطي دائمًا صورة خاطئة. ومن المحتمل أن يؤدي انتقاء الحقائق إلى إدانة خاطئة (أمثال١٨: ١٧).

- عندما تصدر دون علم الشخص المُنتَقَد. وفي هذه الحالة، تكون مجرد قيل وقال وتشويه للسمعة (أفسس٤: ٣١). يجب أن يكون كل أطراف القضية حاضرين حتى يقول كل منهم رأيه في محبة ويُعطي فرصةً لشرح موقف ما أو سلوك ما صدر عنه.
- عندما تصدر بناءً على مقاييس بشرية. تصدر الكثير من الإدانات بناءً على فهم بشري ومقاييس عالمية. إن كلمة **الله** وتوجُّهات الملكوت هي المقاييس الوحيدة التي يجب أن تتأسس عليها الإدانة. يوضح (يوحنا٧: ٢٤) أنه لا ينبغي أن نحكم حسب الظاهر بل حسب بر **الله**.
- عندما تصدر وفقًا لدوافع الآخرين. **الله** وحده هو الذي يرى ويعلم دواخل وقلوب البشر. إننا نادرًا ما نعرف بواعثنا الشخصية. كيف يمكننا إذًا أن نُقيِّم بواعث الآخرين تقييمًا حقيقيًّا (١صموئيل١٦: ٧) و(١كورنثوس٤: ٤).
- عندما تصدر وكأنها حكمًا نهائيًّا. يجب أن نتوخى الحرص دائمًا عندما نوجِّه الانتقاد. يقول (متى١٣: ٢٤-٣٠) إن الملك هو من يصدر الحكم الأخير. من الممكن أن يكون حكمنا خاطئًا وعلينا أن نعترف بهذا الاحتمال كما فعل بولس في (١كورنثوس١٣: ٩). علينا أن نكون مستعدين لتغيير رأينا. لا يمكننا أبدًا أن ندين شخصًا آخر دون أي اعتبار أو أن نصدر حكمًا نهائيًّا (١كورنثوس٤: ٥).
- عندما تصدر الأحكام دون احترام **الله** كالديان – فنحن كلنا مدعوون للحكم في مواقف أو ظروف مختلفة – ولكن ليس دورنا أبدًا أن «نلعب دور **الله**» أي نأخذ مكانه. **الله** وحده هو الديان (يعقوب٤: ١٢). إننا نحاول أن نتعدى على دور وسلطان **الله** المُطلَق حينما نأخذ موقفًا انتقاديًّا أو رد اعتبار ممن أساء إلينا (رومية١٢: ١٩)، (١كورنثوس٤: ٥).

يقدم يسوع في (متى٧: ١-٦) ثلاثة أسباب تُلزِم تلاميذه بعدم إدانة الآخرين.

١. كي لا تُدانوا

يقول يسوع في (متى٧: ١) « لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا». السبب الرئيسي وراء عدم إدانتنا للآخرين هو أننا لا نريد أن نُدان من قِبَل الملك. يشجِّعنا (١يوحنا٢: ٢٨) ألاَّ نخجل من **الله** عندما نراه وجهًا لوجه. لذا علينا أن نعيش بحرص الآن إن كنا لا نريد أن نخجل عندما يأتي. إذا كنا ندين الآخرين اليوم فسنُدان نحن أنفسنا عندما يأتي.

يتحدث العهد الجديد عن ثلاثة أنواع من الدينونة:

- الدينونة الأخيرة التي ستحدِّد وقفتنا أمام **الله**، وتفصل بين المؤمنين وغير المؤمنين، بين الخراف والجداء، بين الذين سيذهبون إلى الجحيم والذين سيذهبون إلى السماء.
- الدينونة المستمرة التي تهذب وتنقي المؤمنين، والتي تتحدث عنها (١كورنثوس٥: ١-٨ و١١: ٢٧-٣٢).
- دينونة مكافأة المؤمنين عندما يوزع **الله** الميراث والمكافآت التي تحدثنا عنها أثناء دراستنا للملكوت. على سبيل المثال (١كورنثوس٣: ٨)، (٢كورنثوس٥: ٩-١١) و(غلاطية٦: ٥) و(٢تيموثاوس١: ١٦-١٨).

يشير يسوع في (متى٧: ١) إلى النوع الثالث من الدينونة. عندما ندين الآخرين فإننا نؤثر على دينونتنا في اليوم الذي يوزع فيه **الله** مكافآت وميراث الملكوت. التلاميذ الذين يدينون الآخرين لن يفقدوا خلاصهم. لكنه كما هو واضح هنا سيفقدون شيئًا ما.

٢. حتى لا نحدِّد مقياس دينونتنا

يحدد يسوع السبب الثاني في (متى٧: ٢). عندما يدين التلاميذ غيرهم،

فسوف يجلبون دينونةً على أنفسهم وسيحددون كذلك المقياس الذي سيدينهم الله على أساسه. عندما نسرع في فحص الآخرين وإدانتهم، ينبغي ألاَّ نستغرب عندما يفعل الله معنا نفس الشيء.

٣. لأننا لا نقدر على الإدانة

يستخدم يسوع في (متى٧: ٣–٥) السخرية والمفارقة؛ حتى يوضِّح لنا أنه لا ينبغي علينا إدانة الآخرين، وذلك لأننا ببساطة لا نعرف كيف ندين. يوضح يسوع أنه إذا كنا مهتمين حقًّا بالبر والحق، فسوف ننظر إلى أنفسنا أولاً ونكون أكثر إدانة لأنفسنا من الآخرين. كما يقول إن وضعنا يجعلنا غير قادرين على مساعدة الآخرين؛ حيث إن الخشبة التي في أعيننا تجعله مستحيلاً علينا أن نزيل القذى من عين الآخرين. لا يمكننا أن نساعد الآخرين على التخلص من خطأ صغير في حياتهم لأن هناك خشبة كبيرة تعمي عيوننا.

يسمينا يسوع مرائين لأننا غير مهتمين بمساعدة الشخص بل بإدانته. نتظاهر أننا نتألم من وجود خطأ صغير بينما نُسَر في دواخلنا بأن نشير إلى هذا الخطأ. يقول يسوع إنه لو أردنا حقًّا أن نساعد الآخرين فسوف نتعامل مع عيوبنا أولاً.

عندما نرى أنفسنا على حقيقتنا، فلن ندين أحدًا بطريقة خاطئة أبدًا. والطريقة الوحيدة التي تؤمِّن لنا الابتعاد عن روح الإدانة الخاطئة هي الامتلاء بتوجُّهات الملكوت الرائعة، أي أن نكون مساكين بالروح وأن نحزن من أجل فقرنا وأن نكون ودعاء وهكذا.

التمييز:

يقول يسوع لتلاميذه في (متى٧: ١–٥) ألا يدينوا الآخرين، لكنه يستمر موضِّحًا في (متى٧: ٦) أن على تلاميذه أن يميِّزوا بين من هم كلاب ومن

هم ليسوا هكذا، ويضيف أن على التلاميذ أن يتعاملوا مع المجموعتين بطريقتين مختلفتين.

يجب علينا أن نقاوم إغراء سرعة إدانة وانتقاد الآخرين. لكن علينا في الوقت نفسه أن نتبع تعاليم العهد الجديد القائلة: «امتَحِنُوا كُلَّ الأَشْيَاءِ» و«امتَحِنُوا الأَرْوَاحَ» (١تسالونيكي٥: ٢١) و(١يوحنا٤: ١-٣).

كلمات يسوع هنا قوية جدًّا: «لاَ تُعْطُوا القُدْسَ لِلْكِلاَبِ، وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ». عندما تحدث يسوع عن الإدانة لم يعنِ حرفيًّا أنه لا ينبغي لنا أن نمارس أي تعبير عن الرأي. وهو بالمثل هنا لا يعني حرفيًا أنه لا ينبغي علينا أن نشهد لغير المؤمنين. يسوع نفسه شهد لغير المؤمنين وأرسل تلاميذه كي يَكرِزوا لهم. لكن كلمات يسوع هنا تدعونا أن نميِّز بين الأشخاص والجماعات.

تسجل البشائر كيف تعامل يسوع بطريقة مختلفة مع كل شخص قابله. لقد تبنَّى موقفًا معيَّنًا تجاه الفريسيين، وموقفًا مختلفًا تجاه الأشخاص العاديين. تحدث إلى بيلاطس بينما كان صامتًا أمام هيرودس. تحدث مع نثنائيل ونيقوديموس والمرأة السامرية في بداية بشارة يوحنا، لكنه تحدث مع كل منهم بطريقة مختلفة.

هناك خمسة مبادئ نتعلمها:

١. علينا أن نتعلم التمييز بين الأشخاص

علينا أن ندرك تفرُّد كل شخص وقيمته العظيمة لدى **الله**. كما يجب ألاَّ نتبع طريقةً آلية في التعامل مع الآخرين. لكن يجب أن نعثر على أفضل طريقة لمساعدة كل شخص. إذا كان اهتمامنا يَنصَب على الكلام الذي

نقوله وليس على الشخص الذي نساعده، فنحن لا نتبع توجُّهات السيد المسيح.
كما علينا أن ندرك أن الكثير من الناس هم ضد الملكوت –حتى وإن كانوا لا يدركون ذلك عن أنفسهم– وعلينا أن نتعامل مع هؤلاء كما تعامل السيد المسيح مع الكتبة والفريسيين. يعتقد بعض المؤمنين أن عليهم أن يكونوا لطفاء مع الجميع، لكن (متى٢٣) يوضِّح العكس.

٢. علينا أن نتعلم كيف نعامل كل شخص

علينا أن نعرف نوع المساعدة التي تناسب كل شخص في كل موقف. إذا اتبعنا التسلسل الذي تحدث عنه يسوع، فسوف نزيل أولاً الخشبة من أعيننا، وبعدها سنكون حريصين على مساعدة الشخص الذي يعاني من قذى صغير في عينه. علينا أن نعرف العين السليمة التي لا تحتاج إلى رعاية، والعين التي تحتاج إلى مساعدة رقيقة. إن إزالة قذى صغير من عين الشخص يتطلب اهتمامًا وحرصًا كبيرين، يتطلب لمسةً رقيقةً وليس يدًا ضاربة.
نرى في البشائر كيف يعامل يسوع كل شخص بطريقة مختلفة، وعلينا أن نفعل بالمثل. وهذا يتطلب منا أن نحيا تحت الحكم الشخصي المباشر لله. علينا أن نستمع إلى صوت الله لا أن نعتمد على تجربتنا. علينا أن نتبع تعليماته.

٣. علينا أن نحرص في تعاملنا مع الآخرين

يتحدث يسوع في كل الموعظة على الجبل عن الاضطهاد الحتمي الذي ينتظر كل من يتبعونه بحق. لكنه يوضح في (متى٧: ٦) أن بعض التلاميذ سيُعتَدَى عليهم دون داع. يوضِّح هذا العدد أن الحرص والتأني يمنعان الإهانة عن كلمة الله والاضطهاد عن أنفسنا.

في بعض الأحيان نُضطَهَد من أجل البر. لكن في أحيان أخرى، نُضطَهَد بسبب غبائنا في إلقاء دررنا أمام الخنازير. لم يقل لنا يسوع أن نتجاهل الخنازير ونجعلهم يتضورون جوعًا. لكنه يشير فقط إلى الغباء في إعطاء الخنازير شيئًا آخر غير طعام الخنازير. لو عَلِمنا من هو الشخص الذي نتعامل معه، فليست هناك حكمة في أن نتعامل معهم بطريقة تثير حنقهم.

٤. علينا أن نتعلم كيف نتعامل مع دررنا

عندما يشير يسوع إلى الدرر، فهو يشير بالطبع إلى رسالة الملكوت. يشبِّه يسوع الملكوت في (متى١٣: ٤٤-٤٦) بلؤلؤة وكنز مخفي. إن أخبار الحكم الشخصي لله هي أخبار سارة. لكنها ليست كذلك بالنسبة للبعض؛ حيث يعتبرونها بلا قيمة ولا معنى، بل وسخيفة.

إن الموعظة على الجبل هي رسالة يسوع الشخصية لتلاميذه الشخصيين. لم تكن الموعظة كلماته للكتبة والفريسيين أو للخطاة الفضوليين. لذا علينا أن نحترز من فرض مقاييس الملكوت على «الخنازير» و«الكلاب»، ومن عرض حقائق غير دقيقة عندما نشهد لهم.

٥. يجب أن نتعلم الاعتراف بأن بعض الناس يُوصَفون بأنهم "خنازير"

لو أن يسوع لم يستخدم تعبير «الكلاب» و «الخنازير» لكنا أجحفنا عن استخدامه. لكن علينا أن ندرك أن الخطية والظلام يجعلان البعض أعداء للحق. يشير وصف «الخنازير» و «الكلاب» في الأساس إلى الأمم غير المؤمنين. أما اليوم، فالوصف يشير إلى العالم غير المؤمن المعادي لمُلك الله. يصف (تيطس٣: ٣-٧) تأثير الخطية على الناس. تحوِّل الخطيةُ الناسَ إلى أعداء لله. كما أن الخطية تستعبد الكثيرين وتلوثهم وتعمي أذهانهم بخداعها لدرجة تجعل منهم المرادف الروحي للخنازير والكلاب. عندما نفهم هذه الحقيقة ستمتلئ قلوبنا بالحزن عليهم والمحبة نحوهم. لا يستطيع الخنزير

إلا أن يتصرف كخنزير. لا يستطيع الخنزير أن يحسِّن من نفسه ويسلك سلوكًا ورعًا؛ فإنه يحتاج روح **الله** القدوس كي يغيره ويحوله.

روح التمييز

كما هو الحال مع كل جوانب التلمذة، نحتاج إلى مساعدة الروح القدس كي نميِّز تمييزًا صحيحًا بين الأشخاص المختلفين ونميِّز «الخنازير» بينهم. موهبة «التمييز» التي تذكرها (١كورنثوس١٢: ١٠) هي موهبة يمنحها الروح القدس. وهي موهبة تساعدنا على التمييز بين الخير والشر. كما تساعدنا على تمييز هؤلاء الذين من الممكن أن يلتفتوا ويمزقونا.

الكلمة اليونانية التي تعني «تمييز» هي «diakrisis» ومعناها «الفصل الدقيق» أو «التقدير الدقيق». ترد هذه الكلمة في (متى١٦: ٣) و(١كورنثوس٦: ٥ و١١: ٢٩–٣١ و١٢: ١٠ و١٤: ٢٩). موهبة التمييز هي الفهم الروحي الذي يعطيه **الله** لنا، والذي يعمل فينا كبقية المواهب الروحية.

نفهم مما سبق أننا نحتاج إلى الاعتماد على **الله** كي يكون لنا التمييز الصحيح. لا ينبغي أن نحكم على الآخرين بناءً على فهمنا وتجاربنا. لكن علينا أن ننظر إليهم بالبصيرة التي يمنحنا **الله** إياها من خلال الروح.

المغفرة:

على الرغم من أن يسوع لم يذكر المغفرة في هذا الجزء من الموعظة على الجبل، إلا أنه من الجيد أن نلقي نظرةً على الألم الذي نشعر به عندما «يمزقنا» الآخرون. يعلِّم يسوع تلاميذه عن المغفرة في (متى٦: ١٤–١٥)، ويحثهم عليها موضِّحًا لهم أن الطريقة التي نغفر بها للآخرين، سيغفر بها **الله** لنا.

كما هو الحال في (متى٧: ٢)، يضع يسوع في الاعتبار هنا «دينونة المكافآت». والمغفرة التي يشير إليها ليست مغفرة الخطايا التي تحدد المصير الأبدي. لكنها أساس توزيع المكافآت والميراث على التلاميذ.

يحث يسوع تلاميذه في (متى١٨: ٢١–٣٥) على التحلي بالمغفرة. وقد مارس هو نفسه هذه المغفرة عمليًّا عندما غفر لمن مزقوه حرفيًّا (لوقا٢٣: ٣٣–٣٤).

عندما يجرحنا الناس بكلماتهم وأفعالهم، علينا أن نغفر لهم. هناك خمسة مبادئ ذكرناها عن الملكوت تنطبق هنا:

- **الله** هو القاضي – هو وحده الذي يعلم حقيقة ما حدث.
- لقد ارتكبنا نحن ما هو أسوأ – من منا بلا خطية فليُلقِ الآخرين بالحجارة.
- ربما لا يعلمون ماذا يفعلون – ربما يكونون عبيدًا للخطية.
- نحن أيضًا نجرح الآخرين – إننا نفقد مكافآتنا ونزيد من دينونتنا عندما لا نغفر للآخرين.
- إننا نُسِر العدو – العدو يريد أن يفرق بين الناس.

الخطوة الأولى للمغفرة هي أن نعترف بأن هناك من أخطأ في حقنا وجرحنا. يجد الكثيرون صعوبةً في الاعتراف بأن مشاعرهم مجروحة. لكن ليس هناك ما يعيب كون الشخص مجروحًا، فسوف نرغب في المغفرة أكثر عندما نقبل حقيقة أننا ظُلِمنا وجُرِحنا.

أما الخطوة الثانية فهي الرد على الإهانة بطريقة تمجِّد **الله**. يمكننا أن نقرأ عن ذلك في (متى٥: ٤٤–٤٨) و(رومية١٢: ١٧–٢١) و(١بطرس٢:

٢١–٢٣). إننا غير مدعوين للثأر بل للمغفرة التي علينا أن نقويها بأعمال المحبة.

والخطوة الأخيرة هي أن نطلب من **الله** أن يُعزِّينا ويشفي جرحنا ويحررنا من الشعور بالمرارة والاستياء ويبارك الشخص الذي غفرنا له. توضِّح (٢كورنثوس١: ٣–٧) كيف يعزِّي **الله** تلاميذه عندما يُجرَحون.

الجزء التاسع

واقع الملكوت

نأتي الآن إلى القسم الأخير من الموعظة على الجبل، يصرِّح يسوع في (متى٧: ٧–٢٩) بحقائق الملكوت، ويقدِّم لتلاميذه مجموعةً من المبادئ الختامية التي تهدف إلى مساعدتهم على الحياة في الملكوت في كل الأوقات.

استمرُّوا في سؤال الله:

جلس التلاميذ يستمعون إلى يسوع وهو يعلِّم عن الملكوت، وسمعوه يعلن عن المبادئ التي يتوقع منهم أن يعيشوا بمقتضاها. كما بدأوا يدركون كم يجب أن يكونوا مختلفين عن العالم، وكم هو أمر عظيم أن يفكروا ويعيشوا مثل يسوع. علموا أن برهم يجب أن يفوق بر الفريسيين، لأنهم يجب أن يكونوا كاملين كما أن **الله** كامل. كان يجب أن يُعاد تشكيل كل جانب من جوانب حياتهم بحسب طبيعة وتوجُّهات **الله**. كل شيء يفكرون فيه، كل شيء يفعلونه، كل شيء في حياتهم يجب أن يتم تحت الرقابة الشديدة للآب الذي يرى كل شيء، لكن كيف يتحقق كل ذلك على أرض الواقع؟

من السهل أن نتخيل التلاميذ جالسين على جانب الجبل، تتسرب تعاليم السيد المسيح إلى قلوبهم، وهم منبهرون بالصور الجميلة التي يقدمها. ثم يكتشفون فجأة أن كل كلمة يقولها إنما هي موجَّهة إليهم شخصيًّا. هذه المبادئ – هذه المقاييس السامية المستحيلة – هي كلماته إلى حياة كل منهم. كان يسوع يؤمن بصدق أن الحياة الشخصية لكل منهم يمكن أن تتفق وكلماته.

يجيب يسوع في (متى٧: ٧–٢٩) عن سؤال: «كيف يمكن أن يحدث هذا؟»، ذلك السؤال الذي كان مكتوبًا على وجوه التلاميذ المستمعين إليه. لقد سمعنا كلمات يسوع عن الملكوت، وفحصنا حياتنا في ضوء تعاليمه واقتنعنا أيضًا بحاجتنا إلى التغيير. ربما سأل الكثير منا أنفسهم وهم يقرأون كل كلمة من كلمات الموعظة على الجبل: «لكن كيف يكون هذا التغيير؟»

إن كلمات يسوع في (متى٧: ٧–٢٧) هي إجابته لتلاميذ القرن الأول ولنا. تبدأ هذه الإجابة بعبارة: «اَسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ». يقول يسوع لتلاميذه ليس هناك داعٍ إلى اليأس، فكل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يلقوا بأنفسهم على الملك، قارعين بابه وطالبين منه لكي يعطيهم التغيير.

استمِرُّوا في السؤال بلجاجة

ليس من المفترض أن نسأل مرة واحدة ثم نصمت. يفسِّر البعض مثل هذا التوجُّه بأنه تعبير عن الإيمان. لكننا نعلم أن الإيمان الحقيقي يعني الاعتماد على يسوع والتصرف بمقتضى كلماته. تدل الكلمات اليونانية المستخدمة في (متى٧: ٧) أن يسوع لا يريدنا أن نسأل مرة واحدة فقط، بل أن نستمر في السؤال، أن نستمر في القرع، أن نستمر في الطلب. يمكننا أن نرى هذه الحقيقة بوضوح في المثل الذي يفسر كلمات يسوع في (لوقا١١: ٥–١٣).

نرى في هذا المثل أن الإيمان – أي الاعتماد على كلمات يسوع – يعني اللجاجة في السؤال والطلب والقرع حتى نرى تحقُّق كل توجُّهات ومبادئ ملكوت **الله** في حياتنا الشخصية. وهذا يعني وجوب وجود بعض عدم الرضا الروحي داخلنا. يشجِّعنا العهد الجديد دائمًا أن نقنع ونكتفي بظروفنا الاجتماعية والمادية. لكنه يحثنا على عدم الرضا فيما يتعلق بنمونا الروحي.

تحثنا نصوص مثل (كولوسي٣: ١–٢) و(فيلبي٣: ١٢–١٤) على الاستمرار في الجوع لله ولطريقته في الحياة. وهذا يعني أنه علينا أن نستمر في طلبه حتى يغيِّرنا ويعطينا القوة التي نحتاجها كي نتعامل مع عاداتنا وتوجُّهاتنا الخاطئة.

في بعض الأحيان نشتاق إلى الامتلاء بتوجُّهات المسيح الرائعة وإلى الحياة بحسب مقاييسه، فيملأنا الشوق الروحي لطلب الله الذي نقرأ عنه في (مزمور٦٣: ١). لكن طلبنا في أحيان أخرى يكون دافعه هو خضوع التهذيب الروحي الذي يصفه (هوشع١٠: ١٢).

استمِرُّوا في السؤال – واثقين في الوعد

يكرر يسوع وعده باستجابة سؤالنا ست مرات في (عددي٧ و٨). علينا أن نتذكر أن هذا ليس وعدًا عامًا عن الصلاة. لكنه وعد يرتبط بصفة خاصة بتوجُّهات الملكوت ومقاييسه.

- «تُعْطَوْا»
- «تَجِدُوا»
- «يُفْتَحْ لَكُمْ»
- «كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ»
- «وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ»
- «وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ»

قدَّم يسوع حتى الآن سبعة عشر وعدًا بالمكافأة وأحد عشر وعدًا بالدينونة. تطلب الموعظة من المؤمنين أن يكونوا حكماء ويحوِّلوا نظرهم عن العالم نحو اليوم العظيم الذي سيكافئ فيه الله المؤمنين كل حسب إرضائه له. تدل النغمة التصاعدية للوعود في (متى٧: ٧–٨) على شوق الله كي يكافئنا

وحرصه على أن يمكِّننا من إرضائه. لكن تذكَّروا أن **الله** لا يفرض مُلكه على أي شخص، وأن خضوعنا له هو خضوع اختياري.

استمِرُّوا في السؤال – متذكِّرين الآب

رأينا أن يسوع يستخدم أسلوب المفارقة كي يؤكد على العديد من النقاط في الموعظة. يستخدم يسوع نفس هذا الأسلوب في (الأعداد٩–١١) ليذكِّر تلاميذه أن حياة الملكوت في هذا العالم تعتمد على علاقتهم بالآب السماوي الصالح الكريم الرحيم.

يحدِّث يسوع تلاميذه في الجزء من (متى٥: ١) إلى (متى٧: ٦) أربع عشرة مرة عن «أبيهم». وهو لا يكل في تذكيرهم بحقيقة أن **الله** يراقبهم ويرعاهم وينتظر أن يكافئهم. يقول يسوع هنا في (متى٧: ٩–١١) إن الآب السماوي أفضل بما لا يُقاس من الأب البشري، وإنه سيعطي عطايا حسنة لمن يسألونه. نفهم من (لوقا١١: ١١–١٣) أن هذه العطايا الحسنة تتمثل في الروح القدس.

علينا أن نتذكر أن الروح القدس هو روح الملكوت، افتتح يسوع عهد الروح في يوم الخمسين. إننا نختبر الملكوت عندما نعيش في حضور الروح ونستسلم لقيادته ونطيع تشجيعه لنا. عندما نطلب **الله**، يزيد **الله** من عمل الروح في قلوبنا ويساعدنا كي تكون قلوبنا متفقة مع نوع الحياة اللائق بمن يعيشون تحت مُلكه.

لا يَعِدنا يسوع باستجابة **الله** لصلواتنا المتعلقة بالكنز الأرضي وحياة الرخاء. لكنه يَعِدنا أن **الله** سيعطينا كل ما نحتاج إليه كي نحيا الملكوت في هذا العالم، ويوضح أن ما نحتاج إليه حقًا هو الروح القدس. لم يُلقِ يسوع الموعظة على الجبل كي نعطي تعليقاتنا عليها، لكن لكي ننفِّذها. والروح

هو الذي يساعدنا على تنفيذها. من المستحيل أن نرضي **الله** ونعيش تحت مُلكه دون الروح.

يقدم لنا الجزء المُعنوَن «معرفة الروح» من سلسلة «سيف الروح» صورةً كتابيةً كاملةً عمَّا يريد **الله** أن يفعله فينا وبنا بواسطة الروح. كما يوضح ذلك الجزء كيف تعمل شركتنا مع الروح القدس على أرض الواقع.

تذكَّروا الحكم الملكي:

يظهر ثاني مبدأ ختامي في (متى٧: ١٢)، وهذا المبدأ هو مُلخِّص لكل الموعظة. يلخِّص يسوع كل تعاليمه في الموعظة في عبارة بسيطة توضح معنى الحياة العملية تحت ملك **الله**: «فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ».

يأخذنا يسوع خلف تفاصيل الناموس لكل نرى المبدأ الذي يتأسس عليه. الروح الحقيقي للناموس هو أن يحب الشخص قريبه كنفسه. جاءت هذه الوصية أول مرة في (لاويين١٩: ١٨) ووردت سبع مرات في (متى١٩: ١٩، ٢٢: ٣٤–٤٠)، (مرقس١٢: ٢٨–٣٤)، (لوقا١٠: ٢٥–٣٧)، (رومية١٣: ٨–١٠)، (غلاطية٥: ١٤)، (يعقوب٢: ٨–١٣).

يصر المبدأ الذي يتأسس عليه الناموس على محبة الآخرين ومساعدتهم والاهتمام بمصالحهم وسعادتهم كما نهتم بمصالحنا وسعادتنا الشخصية. علينا أن ندرك أن الآخرين هم أناس مثلنا لهم نفس مشاعرنا وسقطاتنا. وعلينا أن نعاملهم كما نحب أن يعاملونا. هذا مبدأ صعب بالطبع، لا ننفِّذه ولا نريد أن ننفِّذه؛ لأن كل محبتنا هي لأنفسنا وكل تفكيرنا يتمحور حول أنفسنا ورغباتنا. يقاوم **الله** دائمًا هذا الميل فينا.

يعالج الملكوت محبة الذات عن طريق طلب **الله** أولاً ووضعه قبل الذات. تهدف مطالب الملكوت إلى أن نتواضع ونركِّز على **الله** ونقدِّر كم نحن مساكين بالروح. كما تعيننا مطالب الملكوت على رؤية الآخرين بصورة أدق: أن نراهم لا كأناس أخطأوا إلينا، بل كأناس خطاة مثلنا أعجزتهم الخطية واستعبدهم المال.

عندما نستمر في طلب **الله** وندرك أنه أب صالح يعاملنا بالرحمة والنعمة، سيتحتم علينا حينئذ أن نعامل الآخرين بنفس الرحمة واللطف. وسنراهم كما يرانا **الله**، وبالتالي نبدأ في محبتهم كما نحب أنفسنا.

يأتي بنا هذا المبدأ إلى أعظم هدف من أهداف حياة الملكوت. إننا لا نلتزم مجرد التزام ظاهري ببعض القواعد والمبادئ المنظمة. لا يهم كم نحن مُخلِصون في اعتقادنا بأننا نرضي **الله** بهذه الطريقة؛ لأن هذا ليس ما يريده **الله**. إن الطاعة المُحِبَّة –التي تأتي كرد فعل لصلاح **الله** ونعمته– هي طريقنا الوحيد لقلب الآب. إننا نعيش من أجل **الله** انطلاقًا من محبة مقدارها ما فعله لأجلنا. وهذا هو أساس القاعدة الذهبية التي يتحدث يسوع عنها هنا. إنها «ناموس المحبة» و «الناموس الملكي للحرية» الذي ينعكس في قلبٍ شكَّلته محبة **الله**.

ادخلوا من الباب الضيق:

المبدأ الختامي الثالث في (متى٧: ١٣–١٤) ليس ملخَّصًا لكلمات يسوع السابقة. لقد أتم يسوع موضوع الموعظة. وهو يذكِّر تلاميذه هنا بأهمية هذا الموضوع ويحثهم على تطبيقه في حياتهم اليومية.

يجب أن نفهم أن هذه الأعداد لا تتعلق بأن يصبح الشخص مسيحيًّا، لكنها

أعداد موجَّهة إلى تلاميذ يتبعون يسوع بالفعل، وقد استمعوا إلى كلماته عن الملكوت. يحث يسوع التلاميذ على أن يفهموا أن حياة الملكوت ليست موضوعًا للمناقشة بل للتطبيق الفعلي. تطلبت كلمات يسوع منهم استجابةً فعليةً وتنفيذًا فوريًّا.

كان على التلاميذ الذين يستمعون إلى يسوع أن يقرروا إن كانوا سينزلون من على الجبل ويذهبون إلى منازلهم ويبدأون في التطبيق الفعلي لحياة الملكوت، أم سيستمرون في طريقتهم القديمة في اتباع يسوع. يقدم يسوع في هذه الأعداد اختيارًا بين الباب الضيق الذي يقود إلى طريق صعبة لكنها تؤدي إلى الحياة، والباب الواسع الذي يقود إلى طريق رحبة لكنها تؤدي إلى الهلاك الحتمي.

إن أردنا أن نصيغ الاختيار الذي يطرحه يسوع بأسلوب حديث فسنقول: «إما باب واسع دوار يؤدي إلى إستاد كبير، أو باب ضيق يؤدي إلى طريق ريفية». عندما نتأمل في هذه الصور سنكتشف أنها تنطوي على العديد من الدلالات. وهذه ليست دلالات جديدة، حيث سبق ووردت في الموعظة:

- لا يمكننا أن نأخذ شيئًا معنا – الباب ضيق جدًّا فلا نستطيع أن ندخل منه بحقائبنا. علينا أن نترك كل شيء خلفنا: العالم وطرق العالم والذات والمال إلى آخره.
- علينا أن نعبر بمفردنا – إنها استجابة شخصية فردية.
- علينا أن نكون مستعدين لملاقاة الصعوبات – الاضطهاد والعزل والمعاناة كلها أمور مؤكَّدة.
- سنكون مختلفين – سنخرج من بين الجمع ونكون أقلية ذات مبادئ غير معتادة. وسيُستهزأ بنا لأننا اخترنا الطريق الصعبة.
- علينا أن ننظر إلى المستقبل – إن الحقيقة التي تجعلنا نستمر في

السير هي أننا مُتَّجهون نحو الحياة. الطريق الأخرى سهلة لكنها تقود إلى الدمار الحتمي.

قلنا فيما سبق إن الدينونة هي الفكرة الرئيسية في الإصحاح السابع. يشير يسوع بصفة متكررة إلى موضع الدينونة ابتداءً من (عدد١٣) وحتى نهاية الإصحاح ليؤكد على أن قضايا الملكوت هي قضايا حياة أو موت. على سبيل المثال، يتحدث يسوع عن الهلاك (عدد١٣) والحياة (عدد١٤) والنار (عدد١٩) وذلك اليوم (عدد٢٢).

من المهم جدًّا لأبديتنا أن نتأكد من أننا نسير في الطريق الضيق وأننا أخذنا كل الاختيارات الصعبة. يجب أن نتأكد من استعدادنا لتحمُّل كلفة الملكوت، ناظرين إلى الأمجاد التي تنتظرنا.

احترزوا من الأنبياء الكذبة:

يرد المبدأ الختامي الرابع في (الأعداد١٥-٢٠). وهو تحذير للتلاميذ- الذين يسلكون الطريق الضيق- من الأنبياء الكذبة. كما يوضح هذا المبدأ للتلاميذ أن حياة الملكوت يجب أن تكون حياة مثمرة.

نعلم أن حياة الملكوت تعني الخضوع لمُلك **الله**. إننا لا نعتمد على قانون أو نظام بل نعتمد على **الله** وكلمته. عندما يطلق يسوع تحذيره بشأن الأنبياء الكذبة في هذا الموضع من الموعظة، فهو يقصد أن يوضِّح أن هناك من يدَّعون معرفتهم بكلمة **الله** والتحدث بها. وسيغوينا هؤلاء بالابتعاد عن الطريق الضيق.

يدَّعي الأنبياء الكذبة أن لديهم كلمة **الله**، لكن **الله** لم يرسلهم. نرى ذلك في

(إرميا٢٣: ٩–٤٠) لا يتحدث يسوع عن أناس من الواضح للعين أنهم كذبة، أو عن معلِّمين يتضح من تعاليمهم أنهم هراطقة، أو عن أشخاص يعيشون في خطية ظاهرة. لكنه يتحدث عن أشخاص يبدون للعين أنهم خراف لا ضرر منهم بينما من الداخل هم ذئاب خاطفة.

يقدم لنا العهد القديم في (تثنية١٣: ١–٥، ١٨: ٢١–٢٢)، (إرميا٢٣: ٩–٤٠) و(حزقيال١٢: ٢١–١٤: ١١) خمسة اختبارات نمتحن بها الأنبياء الكذبة:

- فشل نبواتهم المتوقَّعة (تحقق الأمر ليس دليلاً على صدقه).
- يدعون الناس إلى اتباع آلهة أخرى.
- أسلوب حياتهم لا أخلاقي.
- لا يصححون حياة الآخرين اللاأخلاقية.
- يدعون إلى السلام دون وضع الشروط الأخلاقية والروحية اللازمة للسلام في الاعتبار.

أوضح يسوع أنه لا يجب أن نحكم على الآخرين بحسب الظاهر، لكن بحسب تأثير وثمار خدمتهم وحياتهم. لا نعلم إن كان يسوع يقصد بالثمار التعليم أم الحياة الشخصية أم نتائج حديث نبي ما. ربما يقصد الثلاثة معًا. الأساسيات التي نقرأ عنها في (أعمال١٠: ٤٣) و(رؤيا١٩: ١٠) هي أساسيات مهمة جدًّا توضح أن كل الأنبياء الصادقين يشيرون إلى شخص يسوع وحياته ومبادئه وعمله.

كل من يدَّعي أنه يعرف كلمة **الله** ويتحدث بها بينما يُبعِد التلاميذ عن الطريق الصعب الضيق، ولا يعيش حياة الملكوت الضيقة بنفسه هو كاذب. وإن كانوا من يستمعون إليه لا يحرزون أي تقدم في مسيرهم في طريق

الحياة الضيقة، فهو أيضًا كاذب. يجب أن نحترس لأن العدو سيفعل أي شيء كي يشتت التلاميذ بعيدًا عن الله، ويقودهم بعيدًا عن الطريق الضيق الذي يسيرون فيه على الأقدام إلى طريقه السهل المُمهَّد الذي يستقلون فيه العربات.

استخدام يسوع لصورة الثمار يذكِّرنا أن فكر الملكوت يهدف إلى صنع فارق في الحياة التي نحياها وفي قلوب الناس حولنا. ويجب أن يقود التغير في فكرنا إلى تغير في سلوكنا. يجب أن تصبح توجُّهاتنا هي أفعالنا. يجب أن يؤدي الملح والنور دورهما الذي تحدثنا عنه. يقول (عدد١٩) صراحة إننا سنتعرض لدينونة الله إن لم تكن حياتنا تحت مُلكه مثمرةً.

الاختبار الحقيقي:

يعلمنا المبدأ الخامس في (الأعداد ٢١–٢٣) أن الاختبار الحقيقي لحياة الملكوت ليس هو ما نقول وليست هي المواهب التي نمارسها، بل هو تنفيذ مشيئة الآب. من المهم جدًّا أن نتذكر ثانية أن يسوع يوجِّه كل الموعظة إلى تلاميذ. لا تتعلق هذه الأعداد بكيفية أن يصبح الشخص مسيحيًّا. لكنها تتعلق بممارسة الحياة المسيحية. كما علينا أن نتذكر أن الدينونة التي يتحدث عنها يسوع في كل الموعظة ليست هي الدينونة الأساسية التي تفصل بين المؤمنين الذين سيذهبون إلى السماء، وغير المؤمنين الذين سيذهبون إلى الجحيم، بل هي دينونة المكافآت الخاصة بكل المؤمنين.

لا يقول يسوع إن تلاميذه الذين يعترفون به كرب والذين اشتركوا في سلطانه ونشروا كلمته سيذهبون إلى الجحيم. لكنه يقول إن هناك الكثير من المفاجآت في ذلك اليوم الذي سيوزع فيه الميراث والمكافآت. هناك الكثير

من التلاميذ الذين فعلوا أشياءً عظيمة بحسب الظاهر، لكنهم سيُصرَفون من أمام الملك دون أية مكافآت. تتكرر هذه الفكرة في كل تعاليم يسوع عن الملكوت.

أخيرًا.. يتمثل إرضاء **الله** في تنفيذ مشيئة الآب. وحكم **الله** يعني الخضوع للمُلك في كل جوانب وتفاصيل حياتنا. وطاعة المسيح هي مفتاح الحصول على المكافآت السماوية. أما الدينونة فتأتي من جراء تنفيذنا لمشيئتنا ورفضنا لمشيئة **الله**. لا يوجد في الواقع اختبار آخر للإيمان.

الممارسة العملية:

تنتهي الموعظة على الجبل بقصة؛ انتهى يسوع من إرساء تعاليمه المفصلة، ومن وضع مبادئه العظيمة، وهو الآن يطبق ما قاله. واجه يسوع تلاميذه بأمرين عليهم أن يختاروا فيما بينهما: الطريق الضيق والطريق الرحب. كما أوضح لهم كيف يتجنبون الصعوبات التي ستقابلهم. يقدم لنا يسوع في (الأعداد٢٤–٢٧) قصة يوضح من خلالها كل شيء قاله.

كان هناك رجلان وبيتان، وكان كلا الرجلين يريدان نفس الشيء وهو بيت يعيش فيه مع أسرته. بَنَى كل منهما بيتًا، وكان البيتان متشابهين. وكانا في الظاهر صورة من بعضهما البعض. ربما يريد يسوع أن يقول إن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بين الرجلين.

لكن نرى في (لوقا٦: ٤٦–٥١) أن هناك اختلافات حقيقية بينهما. كان الرجل الجاهل غير صابر. كان يريد بيته الآن. لذا لم يكن لديه وقت لوضع الأساس. لم يتأنَّ ويُقيِّم الاحتمالات المترتبة على ما سيفعله. كما لم يستشر

الآخرين. أما الرجل العاقل، فكان يريد أن يبني بيتًا قويًّا يدوم. لذا لم يسلك أي طريق مختصر. بل كان مستعدًّا أن يتعلم ويفكر قبل أن يبدأ في التنفيذ.

يهدف هذا المثل إلى توضيح أن كلمات يسوع قوية جدًّا عندما نطيعها. الرجل الجاهل كان جاهلاً لسبب واحد، وهو أنه سمع كلمات السيد المسيح لكنه لم ينفذها، وبالتالي لم يكن لديه أساس. تذكر أن يسوع كان قد انتهى للتو من وضع أساس حياة التلميذ المسيحي الذي يعيش خاضعًا لمُلك **الله**. لكن يسوع كان يعلم أن هناك الكثيرين الذين سيكتفون بسماع الكلمة فقط دون أن يمارسوا ما سمعوه عمليًّا. لذا أنهى الموعظة –متعمِّدًا– بمثل الرَجُلَين. وهكذا أكد يسوع أن كلماته ليست مجرد إضافات عرضية لحياتنا، بل هي الأساس الذي نبني عليه حياتنا.

لقد كان البيتان متشابهين من الخارج، لكن أساسهما الخفي كان مختلفًا. يمكن أن يكون هناك نبيان متشابهان، وظاهريًّا لا ضرر من كليهما. لكنهما في الواقع مختلفان. يمكن أن يكون هناك تلميذان يتنبَّآن ويخرجان الشياطين مثل بعضهما البعض، بينما أساسهما مختلف. يحثنا يسوع أن نكون مميِّزين، وأن ننظر خلف الظاهر، وأن نعلم أن ما يهم هو تنفيذ مشيئة الآب. عندما أتت المشاكل في المثل، سقط بيت الرجل الجاهل بينما ثبت بيت الرجل العاقل. لا تعطينا الحياة في الملكوت حصانةً ضد المشاكل. لكن الحياة الخاضعة لمُلك **الله** تعطينا القوة كي نتحمل الصعاب حتى نحصل على المكافآت، هذا إن كان لنا الأساس الصحيح.

يستخدم يسوع القصة ليوضح كل ما قاله عن الملكوت. ويذكِّر تلاميذه في نهاية الموعظة أن الملكوت هو ملكوت عملي يتعلق ببناء حياة تدوم

وتتحمل. يعدنا مُلك **الله** بالسلام العقلي في الحاضر وبالقوة أثناء التجارب وبتأكيد رائع للمستقبل.

إدراك سلطة يسوع

انتهت الموعظة، لكن (متى٧) يستمر ليسجل رد فعل التلاميذ في (عددي٢٨–٣٩): «فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الأَقْوَالَ بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ».

من السهل أن ننشغل بمحتوى تعاليم يسوع وننسى المُعلِّم. يعيد هذان العددان توجيه انتباهنا إلى المُعلِّم وإلى سلطانه الشخصي المُتفرِّد. لو أن انتباهنا مُركَّز من البداية، لأدركنا أن يسوع يحوِّل النظر إلى شخصه دائمًا في كل الموعظة، فهو يتحدث عن نفسه وعن كلماته أكثر من عشرين مرة ويوضح لنا جليًّا أن شخصه هو الأساس الوحيد لكل ما يقول. نرى ذلك في (٥: ١١، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤ و٦: ٢، ٥، ١٦، ٢٥، ٢٩ و٧: ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦).

إن البدء في طلب **الله** والبدء في الاعتماد الكلي على مُلكه هو مقياس مدى إدراكنا لسلطان يسوع. لو أننا نطلب **الله** وبره أولاً قبل كل شيء في حياتنا فإننا نبني حياتنا على أعظم أساس ونتَّجه في طريق المكافآت السماوية الرائعة.

بعد أن أوضح يسوع كل شيء، لم يعد هناك شيء آخر ذو قيمة في نظر التلاميذ. ربما يكون طريق **الله** صعب، لكنه يقودنا إلى الحياة التي نرجوها ونشتاق إليها. التلاميذ الجهلة فقط هم من لا يسافرون على طريق الملكوت الضيق. أما التلاميذ العقلاء فيتأكدون أن حياتهم خاضعة لمُلك **الله** وأنهم يعتمدون كليَّةً على كلمته وعلى روحه.